العدد ٣ تاريخ ٢٧ دسمبر سنة ١٩٠٨ السنة الاولى

سلسلة الروايات العثمانية

مجله روائيه أدبيه تاريخيه

تصدر كل عشرة ايام مرة وعددها عشرون عدداً

﴿ لمنشئها ﴾

جورجي سعاده

(رواية)

مهارة سرور

أو بوليس دمشق السري بمصر

﴿ الجزء الثالث ﴾

اشتراكها في مصر والسودان ٤٠ غرشاً صاغاً في السنة

وفي الخارج خمسة عشر فرنكا

(كل طلب لم ترسل معه قيمته لا يقبل)

(ادارة المجله)

﴿ ثمن العدد الواحد ثلاثة غروش صاغ ﴾

نرجو من حضرات مشتركينا الافاضل تسليم
الاشتراكات لمن بيده وصولات ممضاة منا ومنه ومختومة
من ظاهرها بختمنا ويكون لحضراتهم منا مزيد الشكر

سلسلة الروايات العثمانيه

﴿ مجلة روائية تاريخية غرامية ﴾

(لصاحبها)

﴿ جورجي سعاده ﴾

« السنه الاولى » « العدد الثالث »

تكرم حضرة الاديب والشاعر اللبيب خالد افندي رامز مدرس اللغه العربيه والتاريخ بمدرسة التوفيق بطنطا

بهذين البيتين تقريظا

تجلت على القراء بكرا مصونة
أغار على التاريخ في وضعها القلم

فلا تقنعوا منها بظاهر حسنها
بلى فانشدوا اسرار المواعظ والحكم

رواية

﴿مهارة سرور او بوليس دمشق السري بمصر﴾

الجزء الثالث

(تأليف)

﴿ سعاده بك مورلي ﴾

احد مستخدمي الدولة العثمانية سابقا

(صاحب المجله)

﴿ جورجي سعاده ﴾

مطبعة النجاح بمصر

سلسلة الروايات العثمانية

السنة الاولى

(الرواية الاولى)

مهارة سرور

أو « بوايس دمشق السري بمصر »

الجزء الاول — يتضمن جناية حدثت بالقاهرة في حكم اسماعيل باشا الخديوي وقد أخذت دوراً مهما بين رجال الحكومة المصرية

الجزء الثاني — يتضمن شرح تهمة رضا بك ابن فائق باشا الكبير باشتراكه في مؤامرة ضد « ساكن الجنان » السلطان عبد العزيز

الجزء الثالث والرابع والخامس والسادس — مذكرة فائق باشا « تاريخ حياته » وما لها من الاهمية السياسية في زمن وحكم « ساكني الجنان » السلاطين محمود وعبد المجيد وعبد العزيز من ملوك آل عثمان تظهر فيها اطماع دول اوربا ضد للسلطنة العثمانية واسباب منح الدستور

الجزء السابع -- يتضمن تحقيق الجناية التي حدثت

بالقاهرة تحت رئاسة كاظم باشا المندوب السامي العثمانى بأمر جلالة السلطان

الجزء الثامن والتاسع — يتضمنان اعمال سرور اغا مدير ضبط ولاية سوريا وما ابداه من المهارة في كشف مخبآت تلك الجناية

الجزء العاشر — محاكمة احمد افندي عم رضا بك بالاستانة

الجزء الحادى عشر — الختام

غوامض هذه المسألة عينوني فأقوم الى القطر المصري حالا وابحث عن الفاعلين والعاملين لهلاك رضا وأقبض عليهم

ـ ومن يشهد بأنك كفوء لذلك

ـ أعمالى بدمشق وبعموم ولايه سوريا تشهد لي

ـ سأرسل في طلبك متى احتجت اليك

ثم أمره بالانصراف

ولما خرج سرور اغا التفت كاظم باشا الى الاعضاء وقال

ماذا تقولون في اقتراح سرور أغا

فصاحوا بلسان واحد

لقد نطق صوابا

فسكت كاظم باشا قليلا وقال

واذا كان ما قاله في غير محله ـ هل نترك النور ونسير في الظلام ومن يؤيد ويثبت لنا قول سرور أغا . فقد ظهر لي ان التهمة ثابته تماما على المشير

ـ فقال سعيد باشا الكردي

رأي سرور أغا في محله والادله التي قدمها لنا بوجود الفاعلين بالقطر المصري ثابتة تماما وأنا أول من يصادق على ارسال سرور أغا الى القطر المصري لكشف غوامض مسألة رضا

ـ واذا كانت التهمة المتهم بها رضا بك حقيقية ثابتة عليه

ـ ولكن رضا بك ليس لصا سفاكا حتي يفعل أفعالا لا يأتيها الا الاشرار فاصرف هذه الافكار عن بالك واسرع في تعيين سرور اغا فيسعى وراء الفاعلين بهمة تحاكي همة الاسود ويقبض عليهم

ـ يلزم أن آخذ رأي الاعضاء اذا كانت تصادق على ارساله الى القطر المصري

ثم التفت الى الاعضاء وقال

ما رأيكم في ما قاله سعيد باشا

فقالوا بلسان واحد ـ نعم الرأى ر ى سعيد باشا وانا نصادق على تعيين سرور اغا وارساله الى القطر المصرى

ولا بد ان بعض وجهاء القطر المصري عضد الاشرار مقابل مقدار من المال والجنس البشرى ميال بطبعه اليه

فقال كاظم باشا

هذه تصورات ليس إلا

ولكن هذه الاشارة تؤيد قولي

فقال أحد الاعضاء

ولكن كيف ياأغا لم يقدر رجال الحكومة المصريه على أظهار الفاعل والقبض عليه

ـ لانه يظهر ان اللصوص ذو مهارة ودهاء نادرين ولربما يكون زعيمهم غنيا أو ذو نفود

فضاق صدر سعيد باشا الكردي من كثرة السوآلات دون فائده وقال

ما رأيك ياأغا في مسألة رضا

فاجابه سرور اغا وهو يبتسم

رأيي الاسراع الى القطر المصري وايقاف حكم

ربما صدر عليه قريبا فننقذ ركنا من آل عثمان ثم نسعى في القبض على الاشرار

فقال كاظم باشا

ربما كان ما تقوله صوابا ولكن هل تقدر ان تستنتج من هو زعيم الاشرار كما استنتجت وجودهم بالقطر المصري

- كلا الا اذا قصدت القطر المصرى واطلعت على الاوراق وبحثت عنهم

- هل استنتجت نفع الاشرار بهلاك رضا

- كلا لا يكون ذلك إلا اذا قبضت على رئيس العصابة

- هل خطر على بالك ان رئيس العصابة من اقارب رضا بك أو من عائلته

- لا اجزم بذلك فالذى له صديق له الف عدو

- اين تظن كان رئيس الاشرار قاطنا

- بدمشق او بالاستانه

- كيف عرفت ذلك

- قلت على سبيل الحدس واذا اردتم كشف

ان شابا شريف الحسب والنسب ذوأدب فائق ومركز سامي وثروة عظيمة مثل رضا لا يقدم على عمل دنيء فيسرق ويقتل كما اتهم

ولكن أغلب الافعال الدنيئة لا تتأتى الا من أولاد الامراء والاشراف الاغنياء فيتباهون بما يأتونه من الشرور والآثام غير حاسبين للحكومة حسابا فيقعون بيد العدالة فلماذا لا نقول ان رضا أحد أولئك الاغنياء لا دنياء

ـ صدقت ياسيدي ولكن رضا ليس كاحد اولئك الاسافل لانه شهما أبي النفس يترفع عن الاعمال الدنيئة وهو ليس في احتياج ليقتل حتى يسرق فهو بريء مما اتهم به

وأصل فساد اولاد الامراء المقامرة لانها تمحو ما دني الشرف والشهامة وتعلمهم على اللصوصية والقتل والنفاق ولكنا لم نر أو سمعنا ان رضا عاشر وخالط أحد أولئك الاسافل ثم لم يسبق له ان دخل قاعات المقامرة فكيف نلصق به تهمة لا تصدق أن يأتيها من

كان مثله

ـ اني كنت اعرف رضا شهما لما كان بالاستانه ولكن من يعلم و كيف نتأكد ان اطواره لم تتغير. ألا تعلم ان كل من بلغ سن الرجولية بالاستانة تتغير اطواره تماما

ـ صدقت ولكن اخلاق رضا لازالت كما كانت عليه فلا يتخط طريق الصواب . ألم تلاحظ مديح دولة المشير واحمد افندي له وقت التحقيق رغما عن كونهما يكرهانه كرها عظيما فلم يمدحاه خوفا من أن تثبت اللجنه كرههما له ، لكن سيره الحميد واخلاقه المرضية اضطراهما ان يذكراه بالطيب ويثنيان عليه

ولنعد الى ما كنا فيه فان رضا ملك بريء مما اتهم به وقول سرور اغا من ان من اوقع رضا بالتهمتين هو واحد في محله وتأكد ياسيدي انه اذا انتدب سرور اغا لمسألة رضا لابد ان يكشف غوامضها ويقبض على الفاعل في مدة لا تزيد عن اسبوع لانه ذو دهاء وذكاء نادر

وهل يسرك ياحقي ان يصل الى مسامع جلالة السلطان ان سرور اغا قبض على الفاعلين في مدة لا تزيد

ـ على ان اعرض المسألة على دولة الوالي فاذا قبل اقتراحكم اخابر الصدر الاعظم بالاستانة لآخذ رأى فخامته فاذا وافق على اقتراحكم واقتراح دولة الوالي تقرر بارسال سرور اغا الى مصر وانا الآن ذاهب لمقابلة دولة الوالي فانتظروني ريثما اعود اليكم

قال كاظم باشا ذلك وخرج

الفصل الثاني عشر

كان حقي ضابط البوليس السرى وساعد كاظم باشا القوى موجوداً بغرفة اللجنة حين وجود سرور اغا بها وحصول المناقشة لارساله الى القطر المصرى ومصادقة سعيد باشا الكردي واعضاء اللجنة بوجوب تعيينه لكشف مسألة رضا

فلما خرج كاظم باشا من غرفة التحقيق تبعه حقي الى خارجها وسأله عن رأيه في اقتراح سعيد باشا واعضاء اللجنة فاجابه

سأخابر الصدر الاعظم بوجوب تعيين سرور اغا

اذا وافق الوالي وأطلب من فخامته اصدار امر بسفر سرور اغا الى القطر المصري .

اعذرني ياسيدي اذا قلت يجب ان تتروي قبل مقابلتك للوالي واسمح لي بأن اعرض عليك امراً واحدا

ـ وما هو ياحقي

ـ دعنا نخلو بأنفسنا في احدي الغرف فاشرح لك مابفكري

ـ لا بأس

وسار الى غرفة فدخلاها وأقفلا بابها فقال كاظم باشا

نحن الان على انفراد فحدثني بما تر تائيه

ـ ان ماتكلم به سرور اغا لهو الحقيقة ياسيدى

ـ وكيف ذلك ياحقي

ان المشير بريء مما اتهمته به ومزور الاشارة والذى أوقع رضا بتهمة القتل والسرقه هو واحد وهو الان بالقطر المصري كما قال سرور اغا

ـ وكيف اتضح لك ذلك

ـ وهل تذهب معى ياحق

ـ ان كان لدولتكم رغبة في ذلك فلا أتأخر

ـ لابد من ذهابك برفقتى مع خمسة من رجالنا الامناء الذين يمكننا الاعتماد عليهم وانا ذاهب الآن لمقابلة الوالى

وافترقا فخرج كاظم باشا من السراى وقصد منزل الوالى ودخل عليه فرحب الوالى به وأجلسه بجانبه وسأله عن سبب حضوره فاطلعه كاظم باشا على الاشارة التي وردت من مصر من رضا بك واخبره باقتراح سرور اغا ولجنة التحقيق وطلب رأيه في ذلك فقال

اقتراح سرور اغا عين الصواب فهل قبل على الدخول في هذه القضية

ـ لقد طلب ذلك بنفسه

ـ مادام الامر كذلك سلمه الاوراق ودعه يسافر الى القطر المصرى

ـ أرى أن جميعكم على رأي واحد في مسألة سروراغا

ـ تأكد انه يقدر ان ينهي المسألة في مدة اسبوع

ويظهر الفاعلين وتظهر براءة رضا فلماذا نظلم الابرياء اذا كان الفاعلين ليسوا بدمشق

- يظهر من قولكم ان سرور اغا ذو ذكاء نادر

- أؤكد لدولتكم انه يفعل مايقول . الم تبلغك افعاله بدمشق

- بلغني انه ظالم مستبد لاعدل في اعماله

. لقد ابلغك بذلك من اراد الوشاية به فهو رجل عجيب يندر ان يأتي الزمان بمثله

وفعاله فائقة حد التصور حتى يتصور من يسمع بها انه في زمن المعجزات

فلما تعينت واليا لولاية سوريا دعاني رؤساء المصالح ليلة وصولي دمشق الي ليلة انس ودار بين المجتمعين حديث عن افعال سرور اغا العظيمة فكنت اسمع ذلك ولا اصدق ولولم نكن في زمن لايعتقد فيه بالخرافات لقلت انه من زمرة الجان

ومع ماهو عليه من الدهاء والذكاء والمهارة فهو رجل صالح عالي الهمة شريف النفس ينفر من

عن اسبوع مع اننا هنا منذ نيف وخمسة شهور نبحث وتحقق بدون فائدة وماذا يقول عنا جلالته اذا رجعنا بخفي حنين ثم بأي وجه نقابل رجال الدولة اذا ذاع صيط سرور اغا فى الاستانة

وماذا نقول لهم اذا سألونا عن المسأله : نقول لهم اننا فشلنا فيضحكون علينا ويهزأون بنا ويقولون انك يا كاظم لست اهلا لهذا المركز السامي فيجب ان تتخلى عنه لسرور اغا لانك دونه مهارة

ثم ماذا نقول لجلالة السلطان اذا طلبنا الى المثول بين يديه وسألنا عن المسألة ؟ نقول له اننا فشلنا فبين سرور اغا لانه اكثر دهاء ومهارة منا .

وماذا يفعل اذا قلنا له ذلك . ذا رأف بنا يطردنا من امامه ويجردنا من وظائفنا فنسقط حتى من اعين العامه

— لقد عبرت عن فكري ياسيدى ولهذا قلت يجب ان تتروي قبل مقابلة الوالى

— ما الراى ياحقي

ـ الراي الاوفق ان تطلب من الباب العالى ان يامرك بالسفر الى القطر المصري للقبض على الفاعل ومتى صرت هناك تظهر مهارتك وتبحث عن الفاعل بهمة يحمدها فيك رجال الدولة وجلالة السلطان

وتأكد ياسيدى أنك ستفوز وتقبض على الفاعلين فعند ذاك تنهال عليك نعم جلالة السلطان وتعلو مرتبتك عنده

ـ صدقت ياحقي

ـ اقصد الوالى واتفق معه على ان تطلبا بلسان البرق من الباب العالى اصدار امر لك بالسفر الي القطر المصري ومخابرة حكومتها لتقبلك مندوبا ساميا وتعضدك للسعي وراء الاشقياء وان تكون مطلق التصرف اى ان لاحق لاحد في اعتراضك فيما تفعل وان يصدر امرا الى مدير البوسته والتلغراف بحجز كل اشارة برقيه او تحارير يشتبه بان لها علاقة بعائلة رضا ثم ان لايبرح سرور اغا دمشق الا بامرك . ويكون وكيلا عنك لاتمام تحقيق تزوير الاشاره

الشرور فاعليها ويضرب على أيدي الاشقياء بعصا من حديد وينقذ المظلوم من الظالم ويأخذ له حقه منه قهراً

ـ ما دامت هذه افعاله وصفاته فلماذا لم تخابروا الباب العالي بطلبه وكنتم وفرتم علي مشقة حضوري وبعدي عن وطني ومركز وظيفتي مدة خمسة شهور فقد اهملتم لانكم لم تطلبوه لكشف تزوير الاشاره وانقاد رضا مما هو فيه الآن في القطر المصري

ـ لقد طلبته يوم اتهم رضا بالمؤامرة وعرضت عليه ان يقوم لتحقيقها فرفض فتهددته بالرفت فلم يهتم بل قدم استعفاءه على ورقة وتركها امامي وخرج فاستغربت ذلك منه ورفضت قبول استعفاءه لان دمشق بل عموم سوريا لا تستغني عن رجل عظيم مثله فلو ترك مركزه يوما واحدا لقلقت على راحة اهالي دمشق السلام

وقد علم الشقي اعي به رئيس العصابة ضد رضا ان سرور غا رفض التداخل بهذه المسألة فبعث

بالارض فسادا حتى كادت اهالي دمشق تضج من افعاله

وكنت في خلال ذلك قد خابرت الصدارة العظمى واعلمتها بمسألة رضا واظن هذا هو السبب في حضورك

فقال كاظم باشا وهو يبتلع ريقه

ما دام سرور اغا رفض سابقا ما عرض عليه وتنحي عن التداخل بمسألة رضا والبحث عن الفاعل فلا لزوم لمخابرت الصدارة العظمي لاصدار امر بارساله الي مصر

ـ ولكنك اخبرتني انه طلب منك ان تأمر له بالسفر الى مصر فلماذا ترفض وتتوقف عن طلب الامر له بالسفر

ساقوم بنفسي لمصر بصفتي مندوبا ساميا لتحقيق المسالة

وقد ظهر لي ان المزور للاشارة هو ذات اللص والقاتل الذي القى برضا في تهمة القتل والسرقة

وأؤكد لدولتكم اني لا اقضي بمصر اكثر من عشرة

أيام حتى يكون الفاعل في قبضة يدى

فما رأيكم انى اريد مخابرة الصدارة العظمي لتصدر أمرها لي بالسفر لمصر

ـ هل عزمت ان تصحب معك سرور اغا

ـ كلا لا اصحب معي الا رجالي الامناء الذين اعتمد عليهم في الملمات فمرافقة سرور اغا لي تذهب اتعابي ادراج الرياح

ـ ولماذا ياسيدى هل وجود سرور اغا معكم يضر بكم

ـ لاشك وهو اكبر مساعد للاشرار فيدبر على معاكستي اذ يسهل لهم طرق الفرار

وله يد في ايقاع رضا بتهمة اللصوصية والقتل كما وانه المزور لتلك الاشارة ضده كي يلقيه في الهلاك وساعده على ذلك رجاله الاشرار

ـ انا لا اصادق على ماتقول

ـ لو كان لك دراية باعمال رجال البوليس السرى الخفية لصادقت على ما تكلمت به

ـ فكرك في غير محله فاذا اردت ان اصادق على كلامك برهن لي كيف اتهمت سرور اغا بما لا يصدق عنه وماذا ثبت لك من التحقيق لتلصق به تهمة لا فائدة له فيها ولا تتأتى من رجل عالي الهمة شريف النفس شهماً مثله

ـ طمعه في نيل الرتب السامية والربح جرأه على الافعال الدنيئة

ـ لم افهم ارجوك ان تفسر معنى كلامك

ـ اسمع . دس سرور اغا الى احد رجاله ان يزور اشارة يتهم بها رضا بالتآمر ضد جلالة السلطان لعلمه انه مثري وانه سينال من جراء ذلك مبلغاً وافراً

ويسعى بتبرئته مما اتهم به بعد قبض ... ثم ينال اسما عظيما في الاستانة حيث يصل خبر ... رضا الى مسامع جلالة السلطان فتعلو عنده منزلته

فر رضا الى مصر فعلم سرور بذلك ورأى ان فريسته نجت وبنجاتها خسر الجهتين المال وعلو المنزلة فارسل من رجاله اقواهم واشدهم فتكا فعملوا ابن

احمد باشا بمنزله وسرقوا مجوهراته واتهموا رضا بذلك
ولم يهتم سرور اغا لما حضرت للتحقيق لعلمه اننا لا نعرف مقر رضا ولكن لما دعوناه واعلمناه بوصول اشارة رضا التي اعلمتنا بوجوده بمصر تأكد اننا سنكتشف سر المسأله فعرض علينا ان يقوم بهذه المهمه بنفسه الى مصر للتحقيق فماذا تقول في ذلك ياسيدي

تصور ماذا عزمت ان افعل بسرور اغا ورجاله حتى اتممت التحقيق وكشفت سر المسأله

عزمت متى انتهيت أن أقبض عليه وعلى رجاله واجعل لهم في السجن منزلا ازين غرفة فيكون احسن مأوى لهم

ـ افعل ما تشاء أما أنا فلا أصادق على افكارك

ـ ارغب مخابرة الصدارة لسفري حالا ثم اصدار أمرها بعدم خروج سرور اغا من دمشق قبل رجوعي من مصر

وان عدم استمهاله ورام السفر الى مصر

ـ اقبضوا عليه وزجوه في السجن

ـ وكيف اقبض عليه بدون سبب

ـ أنا اعطيكم امرا بالقبض عليه

اذا «لا أتأخر عن القبض عليه فتى مرادكم مخابرة الصداره

ـ الآن

ـ وما الذى اوقفكم عن ذلك

ـ منتظر موافقة دولتكم على رأيي

ـ أنا لا أتداخل بهذه المسألة مطلقا

والاوامر الصادرة لى من الصداره ان أعطيكم القوة العسكرية اذا لزم الامر اليها

ـ اذن ترغب ان اخابر الصداره بدون مداخلتكم

ـ نعم

فاستأذن كاظم باشا وخرج قاصدا الامراى ودخل غرفة التحقيق حيث كان سعيد باشا واعضاء اللجنة بانتظاره وقال

لقد عزمت على السفر الى مصر للتحقيق والبحث عن الفاعل ـ قال ذلك وسلم الاشاره الوارده من رضا

الي سعيد باشا

وجلس كاظم باشا على منضده وخط على ورقة اشارة الي الصدارة العظمى بالاستانة شرح لها ما اتهم به رضا بمصر وطلب صدور الامر اليه بالسفر للتحقيق والبحث عن الفاعل ومخابرة حكومه مصر بمساعدته

ارسل الاشاره مع احد رجاله الى مكتب التلغراف ولبث ينتظر الرد

واستأذن سعيد باشا وخرج الاشارة بيده وقصد دائرة فائق باشا وطلب مقابلة والدة رضا واطلعها على فحوى الاشارة الوارده من مصر

فأغمى على الوالدة المسكينه فطلب سعيد باشا الباش اغا وبعض الجواري واخذوا يعتنون بها حتى عاد اليها وعيها فصرخت تقول

ولدى رضا . . . حبيبي رضا . . . اين كنت ياولدي المحبوب . . . ما هذا المصاب الذى وقع علينا يالهي . . . لماذا يريدون هلاك مهجتي لماذا يريدون قتل ولدي . . . رحمتك وكن عونا له يالهي وانقذه مما

هو فيه

اخذت الوالده المسكينة الحزينة تبكي وتنوح بما يفتت الاكباد فتأثر سعيد باشا وبكى على ماأصاب ابن صديقه العزيز وماوصلت اليه حالته وحالة والدته لفقده وأخذ يخفف عنها ما الم بها فقال

خفي ما بك ياسيدتي فللكون رب يدبره وهو مطلع على ما يفعله الظالمون وقادر على ان ينقذ ابنك رضا مما هو فيه

ـ ما عاد الانتظار يفيدشيئاً ياسيدي فقدعزمت على السفر الى مصر وان اقع على اقدام والدة سمو الخديوي واطلب منها أن تسترحم سموه عن ولدي فيعفو عنه

ـ الا وفق أن ترسلي عطا أفندى وفيروز أغا بتحرير من يدك الى سمو الخديوي تشرحين له المسألة وتطلبين فيه عفوه فان أفاد كان به والا فعطا آفندي يخابر والدك من مصر بلسان البرق عما وصلتم اليه وعما يرضا من الضيق

في امكان فخامته ان يخابر سمو الخديوي فيعفو عن رضا ويأمر بالافراج عنه

ـ ولماذا لا تخابر والدي من هنا

ـ جميع الاشارات البرقية التي لها علاقة بمسألة رضا تحجز فاذا خابرني والدك فلا تصل له الاشارة

ـ وكيف ذلك ياسيدي

ـ قد صدر امر بتوقيف التحارير ايضا اذا اشتبه بها

ـ وممن صدر الامر

ـ يجب ان تعلمي كل شيء

لقد ظهر ان الاشارة البرقية التي وردت بالقبض على رضا مزورة

ومضى على كاظم باشا خمسة شهور وهو يحقق وكان نتيجة ذلك ان زج بعض الابرياء بالسجن

واستلم اليوم كاظم باشا اشارة رضا

فقاطعته الهانم وقالت

بأي حق يستلم اشارة مرسلة باسم غيره

هو فيه

اخذت الوالده المسكينة الحزينة تبكي وتنوح بما يفتت الاكباد فتأثر سعيد باشا وبكى على ماأصاب ابن صديقه العزيز وماوصلت اليه حالته وحالة والدته لفقده وأخذ يخفف عنها ما الم بها فقال

خففي ما بك ياسيدتي فللكون رب يدبره وهو مطلع على ما يفعله الظالمون وقادر على ان ينقذ ابنك رضا مما هو فيه

ـ ما عاد الانتظار يفيد شيئاً ياسيدي فقد عزمت على السفر الى مصر وان اقع على اقدم والدة سمو الخديوي واطلب منها أن تسترحم سموه عن ولدي ويعفو عنه

ـ الا وفق أن ترسلى عطا أفندى وفيروز أغا بتحرير من يدك الى سمو الخديوى تشرحين له المسألة وتطلبين فيه عفوه فان أفاد كان به والا فعطا افندي يخابر والدك من مصر بلسان البرق عما وصلتم اليه وعما يرضا من الضيق.

في امكان فخامته ان يخابر سمو الخديوي فيعفو عن رضا ويأمر بالافراج عنه

ـ ولماذا لا تخابر والدي من هنا

ـ جميع الاشارات البرقية التي لها علاقة بمسألة رضا تحجز فاذا خابرني والدك فلا تصل له الاشارة

ـ وكيف ذلك ياسيدي

ـ قد صدر امر بتوقيف التحارير ايضا اذا اشتبه بها

ـ وممن صدر الامر

ـ يجب ان تعلمي كل شيء

لقد ظهر ان الاشارة البرقية التي وردت بالقبض على رضا مزورة

ومضى على كاظم باشا خمسة شهور وهو يحقق وكان نتيجة ذلك ان زج بعض الابرياء بالسجن

واستلم اليوم كاظم باشا اشارة رضا

فقاطعته الهانم وقالت

بأي حق يستلم اشارة مرسلة باسم غيره

ـ الم اقل انه صدر امر بحجز كل اشارة او تحرير له علاقة بمسألة رضا

فلو خبأ الاشارة عني او انكرها فمن اين لي ان اعلم بوقوع رضا بتهمة جديدة اشد من الاولى

ولنعد الى ما كنا فيه قلت ان كاظم باشا استلم الاشارة ودعاني اليه وقرأها امامي وامام اللجنة وطلب رأيي فعرضت عليه أن يرسل سرور اغا لهذه المهمة فرفض وقال انه سيقوم بنفسه الى مصر

ـ وما رأيك الآن في هذه المسألة

الاوفق كما قلت لك ان ترسلي عطا افندي لعريضة او تحرير الى سمو الخديوى وان لم يفد ذلك فيخابر والدك رأسا من مصر

ـ وماذا يضر اذا سافرت بنفسي الى الاستانه وقابلت والدي وشرحت له الحاله وطلبت منه ان يخابر سمو الخديوي بمصر بالافراج عن رضا

او اذا لزم الحال التمس المثول لدي جلالة السلطان وانا متأكدة انه سيعفو عن ولدي اذا أخبرته بجميع ماجرى

ـ رأيك موافق ولكن أخاف ألا يكون صدر الامر بعدم خروجك من دمشق

ـ أيقدر أن يوقفني عن السفر الى الاستانة لمقابلة والدي

ـ ان الامر الذى بيده يخوله على اجراء كلما يترأى له فالاوفق ان تبعدى هذا الفكر عنك لئلا يلحقك بعض الاهانة

ـ حسنا فقد اقلعت عن رأيي وفوضت الامر اليك

ـ سأذهب واحط لك العريضة الي سمو الخديوى فتوقعين عليها وتنبهين على فيروز اغا ان يكون مستعداً للسفر بعربة البوسطة «١» هذا المساء مع عطا افندى

وارسل سعيد باشا فطلب سرور اغا مدير الضبط فحضر وارسلت الهانم احد خدمها الى عطا افندى وفيروز اغا

«١» كان عادة ان يسافر الاهالى بعربات البوسطة قبل انشاء السكك الحديديه في سوريا تجر كل عربه ثلاثه او خمسه من جياد الخيل

وشرح سعيد باشا لسرور أغا ماارتاه وماالتفق عليه مع الهانم على ارسال عريضه مع فيروزاغاوعطا افندى لسمو الخديوي وان يخابر فخامة الصدر الاعظم ولد الهانم وجد رضا بلسان البرق اذا رفض سموه الطلب

فقال سرور أغا ـ نعم الرأي رأيكما

ووقتئذ دخل فيروز اغا وعطا افندي فاخبرهما سعيد باشا بما صارعليه الاتفاق من سفرهما الى مصر وافهمها عما يفعلاه فقبلا بسرور

فقال سرور أغا ـ سأرسل برفقتهما خمسة من رجالى الامناء ليتجسسوا الاخبار ويعرفوني عن كلما يحدث يوميا بلسان البرق

واذا لزم فاني أسير الى مصر باسرع مايمكنني ولو رغما عن كلما يعترضي ومادمت حيا ارزق فلا خوف على رغبا

فقال سعيد باشا ـ كيف تصلك الاشارات مادامت المراقبة شديدة ألم يبلغك الاوامر التي صدرت لمدير

التلغراف بحجز كل اشاره يشتم منها المداخلة بمسألة رضا – لا أهتم بالمراقبة فالاشارات تصلني بطريقة لا يعلمها الا أنا ورجالي فاسمحوا لى بالذهاب لانبه على رجالي كى يكونوا على استعداد للسفر في عربة البوسطه مع ميروز اغا وعطا افندي

وخرج سروراغا وبعد عشر دقائق خرج سعيد باشا

وكان الخبر قد شاع بالسلاملك الخارجي وبالحرم أيضاً فأخذت النساء بالبكاء وارتبك الخدم وذاع الخبر في انحاء دمشق بتهمة رضا بعصر فصار المحبون يتواردون ليعلموا الخبر الاكيد من وكيل الدائره او من الخدم

وكان بجانب سراى فائق باشا منزل صغير يسكنه شيخ يبلغ خمسه وسبعين عاما وعجوز تقاربه سنا وخادم وخادمة

وهذا الشيخ هو واصف باشا الذى كان باشكاتب المابين الاستانه وقد حضر مع فائق باشا منذ ست سنوات لما أراد سكني دمشق

وأسكنه الوزير هو وأسرته داخل سرايه وبقى

تديما له حتى بلغ سن الشيخوخة وأقعده الكبر عن خدمة الباشا واسكنه في المنزل الصغير المجاور لسرايه وبقي فيه وعائلته يزوره الوزير كلما سنحت له الفرص حتى توفى فايق باشا

وسار رضا على خطة ابيه في معاملته للشيخ واصف فكان يحسن اليه ويتردد عليه ويكثر من المكوث عنده

وانقطع رضا عن زيارة الشيخ فجأة فشعر بالوحدة ولم يعلم سبب انقطاع ربيبه عن زيارته

وبلغ من خادمه ما شاع في أنحاء دمشق بمسألة رضا فارسل وراء فيروز اغا وتأكد منه الخبر ورجاه بان يرسل اليه سرور اغا مدير الضبط باسرع ما يمكنه

الفصل الثالث عشر

« سرور اغا والشيخ واصف »

قلنا ان كاظم باشا كان فى غرفة التحقيق ينتظر ورود رد الاشارة التى ارسلها الى الصدارة العظمى لتصدر له الامر بالسفر الى مصر ففي الساعة الثالثة بعد الظهر وصله الرد وهذا نصه

« مدير بوليس الاستانه السري بدمشق

وصلت اشارتكم وحسب طلبكم ارسلنا اشارة برقية الى سمو خديوى مصر بان يوقف التحقيق بتهمة رضا بك فايق حتى تصلوا مصر وتقابلوا سموه

وان يعامل رضا معاملة حسنة حتي وصولكم هناك واصدرنا الاوامر اللازمة وارسلت بالوسطة اليوم فتستلموها من الاسكندرية وارجوا ان تكون ثقتى بكم اكيدة فتظهرون الفاعل وتقبضون عليه ليحاكم جزاء مافعلت يداه

ونرجو ن تخابرنا عما يحصل يوميا

الصدر الاعظم

محمود نديم »

ولما قرأ كاظم باشا الاشارة التفت الى حقي وقال اذهب وابحث عن خمسة رجال تعتمد عليهم ليرافقونا الى مصر ثم جهز لنا سبع تذاكر الي بيروت

فخرج حقي ملبيا امر كاظم باشا ليبحث عن الرجال وجلس رئيسه على مقعد بقرب منضده وحرر امر الى والي ولاية سوريا بمنع سرور اغا عن السفر والخروج من الولاية

ثم امرا آخر الى مدير التلغراف والبوسطة بضبط وحجز كل اشارة او تحرير يشتبه بان له علاقة بمسألة رضا وارسل فاحضر سرور اغا واخبره ان الصدارة العظمى رفضت اقتراحه بالسفر الي مصر واصدرت امراً بلسان البرق اليه بان ينذره عليه بان لا يبرح دمشق وامرته هو بالسفر لمصر للتحقيق فقال سرور اغا

اني مطيع للاوامر واذا تصادف وانكم في احتياج

الي وانتم بمصر فما عليكم الا أن تأمروني بلسان البرق فأكون عندكم بأسرع من طرفة عين

فشكره كاظم باشا بلسانه لا بقلبه وصرفه

خرج سرور اغا من حضرة مدير البوليس السري وقصد منزله ووقف على باب احدى الغرف و نقر نقرا مصطلحا عليه ففتح الباب

فدخل سرور اغا واقفله باعتناء وقال يخاطب خمسة رجال

هل انتم على استعداد أيها الرجال للسفر برفقة فيروز اغا وعطا افندي فكان جوابهم احناء الرؤوس

ـ هل علمتم لماذا اريد أن ابعث بكم الى مصر فكان جوابهم كالاول

ـ لا ازيدكم شرحا وكفى انى اعتقد فيكم انكم شجعان اشداء ذوى بأس امناء لي

وارجو ان يكون اعتقادى في محله فاقسموا لي ان تسفكوا آخر نقطة من دمكم في المهمة التي انتم

سائرون اليها

فرن في الغرفة صوت خشن

انتا نقسم لك بذلك

ـ ستسافرون الليلة يارجالى الامناء

فاحنت الرجال الرؤوس تصديقا لقوله

وخرج سرور داهية دمشق ورجلها العظيم من منزله واختفي فى شوارع المدينة

وفي مساء ذلك اليوم سارت عربة البوسطة قاصدة بيروت تقل عطا افندي وفيروز اغا يحتاط بهما الرجال احدهم فوزى احد ضباط البوليس السري واحد رجال سرور اغا الامناء واربعة من رجاله الاشداء كاملي السلاح لتحمييهما من الطوارق

وفي الليلة التالية في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل سافر كاظم باشا مع حقى افندي وخمسة من رجاله الى بيروت



بقى الشيخ واصف في انتظار سرور اغا حتى

غروب شمس ذلك اليوم فلم يحضر فرغ صبره واذ كان على وشك ان يدعو خادمه ليرسله الى سرور اغا فتح الباب ودخل الخادم وقال

سرور اغا بالباب ياسيدي

فقال الشيخ ـ ويك أيريد ان يستأذن ليدخل أسرع به الي

فخرج الخادم وبعد هنيهة دخل سرور أغا

ومع ما كان عليه سرور اغا من الشدة والبأس وخشونة الطباع مع اللصوص كان لطيفاً مع الشيوخ كبيري السن

دخل سرور اغا علي الشيخ واصف فأراد الشيخ ان يقف له فمنعه وقبل يده وقال

مساء الخير ياسيدي أظن أنك مللت الانتظار

ـ صدقت ياولدي وأظنك فهمت لماذا دعوتك

ـ اظنك تريد ان تحقق ما أشيع من ان رضامتهم في مؤامرة ضد جلالة السلطان

ـ ماذا تقول رضامتهم بمؤامرة ضد جلالة السلطان

. . . . كلا لم اسمع بذلك

ـ أظنك سمعت بتهمته في مصر باللصوصية والقتل

ـ صدقت هذا ما سمعته ولكن بالله اخبرني ماهي التهمة الاخرى

ـ زور بعض الاشرار اشارة برقية ارسلوها الى المشير اتهموا بها رضا باشتراكه في مؤامرة ضد جلالة السلطان

ـ غريب غريب ماذا اسمع ياسرور أيصدقون أعداءه

سوف يظهر كل شيء ياسيدي الشيخ ويخرج رضا بريئا مما اتهم به

هذا ما أؤمل «ياأغا» ولكن كيف اتهم وما هي التهمة التي اوقعه بها أولئك الاوباش بمصر وكيف اتبعوه الى هناك

ـ هذه قصة يطول شرحها ياوالدي فاختصر في شرحها لك فأقول

اخبر احمد باشا . . . احد كبراء مصر ان منزله

سرق فسار اليه ودخله فوجد ابنه مضرجا بدمائه وجوهراته عمومها مسروقة وبلغه الخبر ان الفاعل هو رضا

وقد حضرت اشارة من رضا الي سعيد باشا فيها شرح المسألة فقال الشيخ وما العمل يااغا في خلاصه

ـ ارسلت عطا افندى وفيروز اغا وخمسة من رجالى الامناء الاشداء الى مصر ليتأكدوا ماهوحاصل هناك ويعلمونا بذلك

ـ هل تعرف من الذي اوقع رضا بك بهذه التهمة كيف ـ يمكنني ان اعرف الفاعل وانا لم اطلع على تفصيل ماحدث

ـ انا اعرف الفاعل . انا اعرف المدبر لهذه المكيدة يا اغا

ـ ومن هو ياسيدي

ـ لا يتجرأ على عمل كهذا الا عمه احمد افندى واحمد باشا . . .

ـ وكيف اتضح لك ذالك

ـ من دناءة اصلهما وعبتهما للشر لاسيا وانهما يكرهان رضا كرها شديداً

ـ كيف تقول ان احمد دنيء الاصل حقير مع انه شقيق فائق باشا وعم رضا

ـ كلا ياغا انه ليس شقيق الوزير فايق باشا بل هو احد اللصوص المتشردين

ـ وكيف ذلك ياسيدي

ـ لايعرف غيرى سر المسألة يا اغا وصار يلزمني ان اشرح لك ما أعلمه ولو كان ضد وصية المرحوم فايق باشا

وقد اوصاني الباشا قبل وفاته بان لا ابوح بالسر الا لولده وزوجته هذا اذا ادعي احمد افندي بان له حق في ان يرث جانبا من الميراث وطالب بنصيبه

ـ وما هو هذا السر ياسيدي الشيخ

ـ السر في مذكرة كان سلمها المرحوم فائق باشا الى زوجته قبل وفاته كي تسلمها الى رضا حين بلوغه الخامسة والعشرين من عمره فاطلبها منها واقرأها

نعرف السر

ـ انى في اشتياق لمعرفة السر قال الملتقي ياسيدى

وخرج سرور اغا وقصد سراى فائق باشا وطلب مقابلة الهانم ورجاها ان تعطيه المذكرة كي يطلع عليها اذ لربما يكون في ذلك صالح رضا

فدخلت الهانم واخرجت دفترا ضخما من خزانتها الخصوصيه وسلمته الى سرور اغا وقالت

احرص عليه وعند فراغك من تلاوته سلمني اياه

فوضع سرور اغا الدفتر بجيبه باعتناء ثم استأذن وقصد منزله بملء السرعة لاشتياقه لقراءة ما بالدفتر

تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث

الجزء الثالث

الفصل الاول

« تاريخ حياة فائق باشا »

وصل سرور اغا المنزله ودخل احدي الغرف وأقفل بابها عليه واخرج الدفتر من جيبه ليقرأه

وكان يحتوي على تاريخ حياة الوزير فائق باشا منذ ولد حتي قبل وفاته بعام

وحيث أن تاريخ حياته له علاقة كبري بروايتنا لزم شرحه بالتمام وهذه المذكرة لا تزال عند فائق باشا الى الآن بمكتبته الخصوصية بالاستانة

فأخذ سرور اغا يقرأ ما يأتي

« تاريخ حياتي »

« انا فائق الفلاخي ولدت في عام ١٢١٥ في ٧ محرم الموافق ٢٨ ابريل سنة ١٨٠١ من والدين تعيين

وكان والدي الحاج قايد الفلاخي قد حضر من ايالتي الفلاخ والبغدان الى دمشق للتجارة في سنة ١٢٠٨

٢

هجرية أي سنة ١٧٩٤

وكان مثريا ففتح محلا كبيرا تجاريا فربح ربحا طائلا واشتهر اسمه وذاع صيته فاتته التجار من البلدان والقري تبتاع منه ما رامت من البضائع

وتعرف وقتئذ بجدي مصطفى اغا البغدادي فزوجه ابنته أي والدتي فرزقاني

ولما كنت وحيدا اعتني بي اعتناء عظيما وكان يحادثني وانا طفل باللغات الافرنسية والروسية واليونانية ثم أجبر والدتي بان تحادثني باللغة التركية فقط وما بلغت الخامسة من عمري حتى كنت أتكلم باللغات الاربعة خلاف اللغة العربية التي كان يحادثني بها الخدم

ولما رأي والدي نجابتي في حفظ اللغات اتي لي بمعلمين وأساتذه ماهرين ليلقنوني العلوم في سرايبا

وكانوا اثنين من اوروبا والثالث أحد مشايخ الاسلام . وما بلغت الخامسة عشرة حتي اتممت دروسى وصرت ماهرا باللغات الاربعه

وكان لي ابنة خالة جميلة تيتمت وهي في سن

الطفولية فضمتها والدتي الينا واعتنت بها اعتناءها بي

واحببت ابنة خالتي لجمالها ولطفها ورقتها ولين طباعها وكنا ونحن في سن الصغر لا تفترق الا حين مباشرة دروسي

شبنا وشب الحب معنا وازداد وتمسك بقلبينا حتى نادرا ان قدر الواحد على فراق الآخر

ولما بلغت سن الرجال وبلغت ابنة خالتي سن الصبا بلغ الحب بنا الى حد يقصر عنه التصور

وكان قد برز صدرها وتوردت وجناتها بلون يشابه ورد لربيع حتى صارت فتنة لمن يراها

وكنت أجهد نفسي في ان ابوح لها بما في قلبي فيمنعني الحياء

ففي يوم ما اجتمعنا على انفراد وكل منا ينظر الى الاخر نظرة تعبر عن منكونات ضميره

فنظرت اليها فتقابل النظران فابتسمت كانها شعرت معنى ذلك فتشجعت وقلت هذا اوفق وقت لشرح حبي لها

فامسكت احدى يديها وفركتها بلطف وقلت

ـ هل تشعرين يا ابنة خالتي باني اميل اليك فقالت

ـ نعم ياعزيزي فأنى والاغرب انى كلما وقفت

أو جلست بجانبك اشعر بخفقان فى قلبي لم افهم معناه

قلت ـ انا اشعر بما تشعرين به ياعزيزتى

وهذا دليل على ان القلبين مرتبطان

قالت بملء الطهارة ـ نعم وعسى ان لا نفترق

قلت ـ اذن فتحبينني

قالت ـ لاشك يافائق واسال قلبك فيؤكد لك

ذلك ولكني اخاف لئلا نفترق لاني الان فى سن الصبا

قلت ـ أتعاهديني على الحب وان لا يخون احدنا

الاخر وان نجتهد في ان لا نفترق

قالت ـ أقسم لك بذلك

قلت ـ وانا اقسم لك ايضا بان اجعلك عروسالي

وساعمل جهدى بان اطلب من والدي الاقتران بك فهل

توافقين على ذلك

قالت ـ وقد صبغ الحياء وجنتيها ـ ليس يتم ذلك

ثم سحبت يدها بلطف وقبضت بيديها على يدى اليمنى وبلتها وبكت

فضممتها الى صدري ومسحت دموعها وقلت لماذا تبكين ياعزيزتي

قالت ـ قلبي يحدثني اننا سنفترق فراقالا لقاء بعده

قلت ـ خففي مابك يافاطمة واصرفي عنك هذه الافكار

وما زلت ألاطفها حتى كفت عن البكاء وقالت ما أكثر ماتحبني ياعاشق فهل تبقى على حبك وهل لانفترق

قلت ـ كلا سوف لاتفترق ولن يزول حبك من قلبي

قالت ـ كلامك يذهب مابي من الخوف وعسى العناية أن تسمع منك فلا تفرق بيننا

وبينما نحن في حديث يلذ للعاشقين اذ بوالدتي قد دخلت علينا فجأة ولما رأت آثار دموع فاطمة قالت

ما الخبر يا ابنتي لماذا كنت تبكين

فخجلت فاطمة أن تذكر لها ماداربيننا فسكتت

فالتفتت والدتى الي وقالت

ما الذى أبكى فاطمة يافائق احذر من أن تكون انت

السبب

فشرحت لوالدتي ماداربيننا فضحكت وضمتنا

أنا وفاطمة الى صدرها وقبلت كل منا وقالت

كونا باطمئنان ياولدي فلن تفترقا وسأسعى في

قرانكما

ومن ذاك الحين اخذ الحب في ازدياد وصرنا

نجتمع بدون خوف ونشرح ما بنا من الحب بدون حياء

ودعاني والدي يوما ليسلمني ادارة محله التجاري

الواقع بسوء الاروان بمساعدة وكيل اشغاله

ولم أكن عالما بما يدبره لي والدى من مستقبل

يظنه سعيدا لي فقال اذ كنا على انفراد

انت الآن ياولدى في سن الصبا وجدير بأن

تدبر عملا كبيراً كمحلي التجاري

وعزمت على أن اسلمك اشغالي كلها بعد اقترانك

بابنة أحد اصدقائي التي قد عزمت ان اجعلها زوجة لك

وهي ابنة احمد اغا «الشاهبندر» رئيس تجار دمشق

فلما سمعت ماقاله انقبض قلبي وقلت

ولماذا لم تزوجني بابنة خالتي فاطمه لاني احبها

حبا مبرحا

فقال ــ كلا لا اريد ان اتخذ لك قرينة من ذوي

قرابتك ولا ارغب ان يختلط الدم بالدم لئلا يضر بصحتك

فاسأل الاطباء في ذلك فتتأكد اني افعل ذلك لصالحك

فانزع من قلبك حب فاطمة وابعد عن ذهنك

ماتتوهمه وتتصوره من السعادة بقربها واطعني ففي

اطاعتك لي فائدة لك واكبر صالح

فقلت ــ وما فائدتي اذا اقترنت بابنة الشاهبندر

وما هو هذا الصالح الذي يتأتى لي منها

فقال ــ اعلم يافائق ان احمد أغا ذو ثروة عظيمة

ونفوذ كبير في دمشق

وبمصاهرته تنال الشرف الاكبر نظرا لما عليه

ذلك البيت من الشرف الرفيع وتصير مسموع الكلمة نافذ القول

تأمل ذلك لك نضم الي ثروة ابيك ثروة طائلة قدرها ثلثمائة الف جنيه

فان تزوجت بابنة احمد اغا ووحيدته تنال ثروة ابيها فتضمها لى ثروتنا البالغة ثلاثمائة وعشرين الف جنيه فتصير ستمائة وعشرين الف جنيه

انظر كم تبقي ثروتنا ياولدي وستكون كلها لك باسمك ومعك أن تتزوج ابنته لتكسب مالا وشرفا ونفوذ كلمة

قلت — تشكر ياوالدي ان ابنة خالتي ارفع شرفا من ابنة احمد اغا

فما نسبة عائلة الشاهبندر الي عائلة البكرى واين الثريا من الثري

قال — صدقت بقولك ان ابنة خالتك ارفع شرفا من تلك لكن المال هو صاحب النفوذ وابنة خالتك كما تعلم فقيرة لا تملك ماتقتات به

ولولا تحنن والدتك على خالتك وابنتها فاطمة لماتتا جوعا فانظر ياولدى بعين البصيرة الى ماأقول

قلت - تذكر ياوالدى ان ابنة خالتى من عائلة البكري من سلالة سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه

قال - كفي لجاجة ياهائل وعليك باطاعتى

قلت - ولكنى أهوي فاطمة ياوالدي

قال - يجب أن تنزع حبها من قلبك

قال والدي ذلك وقد أخذ الدم يتصاعد الى وجهه وشعرت بان غضبه أخذ يثور

فوقفت وقتئذ بين عاملين شديدين الحب أو غضب والدى أيهما أتقي

وخطرت على بالي حبيبتي فاطمه وتمثل رسمها أمامي وتصور لى بانها تدنو مني وتعاتبني لاني خنتها فصحت وقتئذ بدون وعي

كلا كلا لاأخونك ولا أرضي بغيرك زوجة

ثم تصور لى أنها تهرب مني وتقول

بل ستخونني وتطيع والدك وتتزوج بتلك فأين القسم ياخائن

فصرخت بصوت عظيم ارعب والدى

كلا لست خائنا فني لاتهربي

فظن والدي أنى اصبت بالجنون فقال

ماذ تقول ومن تخاطب يافائق

فعدت الي وعيي وخجلت لما فرط مني ولبثت صامتا

فقال ـ من كنت تخاطب وماذا جري لك

قلت لاأعي ما كنت أقوله ياوالدى فاصفح عما تكلمت به

قال ـ يجب أن تتزوج بابنة أحمد أغا كما قلت

قلت ـ الا تزال مصمما على زواجى بها

قال ـ نعم واحذر من معاندتى

قلت ـ واذا كنت لااقبلى بان اتزوج بها لانى احب فاطمه

قال وقد استشاط غضبا

ماذا تقول ايها الولد المفوف هل تتجرأ بان ترفض ما أعرضه عليك أهكذا يكون جوابك لي ياوقح

فيحب أن تقترن بابنة احمد اغا رضيت ام لم ترض وسيكون كتب الكتاب بعد ثلاثة يام

وسأحرمك من النظر لابنة خالتك فاطمه من الآن فصاعداً فاحذر من مخالفة ما أقول

فأخذت أبكي من جراء ذلك وتأكدت انه اذا حجز فاطمه وأحرمني من رؤيتها أموت شوقاً اليها فرأيت ان استرحمه فقلت

اشفق علي وعليها ياوالدي ولا تحرم احدنا من النظر الى الآخر وارحم صبانا اذ يكاد يعبد أحدنا الاخر

كن رؤوفا يا والدى ولا تحرمني من فاطمه اذ لا أقدر ان اسلو حها فهي حياتى وعليها يتوقف مدار سعادتى

فقال بحده — خسئت أيها النذل . اخرج من

أمامي ولا عدت تريني وجهك

ثم دعا والدتي اليه وقال لها

احذري من فائق يري فاطمه مرة اخري والا التزم باخراجها من المنزل وتسليمها الى عمها الشيخ البكري

فاظهرت له والدتي الرضى خوفا من غضبه اذ كان متهيجاً

والتفت الي وقال

كن مستعداً بعد ثلاثة أيام يكون كتب الكتاب وأياك أن يظهر منك ما يجعلني في ريب فاعدمك الحياه وأقول ان لا ولد لي

قال ذلك وخرج وتركني أنوح وابكي وأندب سوء حظي وكانت والدتي قد تأثرت مما ألم بي من الحزن فقالت وهي تمسح دموعي بمنديلها

لا تحزن يافائق وكفكف دموعك واشرح ما دار بينكما عسى أن أحد دواء لذلك

فازداد حزني وبكاءي فبكت لذلك والدتي ومن

كثرة ما أثر بى من الحزن اغمي علي ووقعت امام والدتي بدون حراك

وما امت حتى وجدت نفسي بين أحضان والدتى وابنة خالتي تشهق بالبكاء وشعرها الجميل مسترسل على وجهها وظهرها

فأخذت بيدها ولثمتها ونظري لا يتحول عنها غير منتبه الي اني محاط بجملة من الجواري للواتي حضرن على صراخ والدتي اذ اغمي علي

رأيت ابنة خالتي تذرف الدمع مدراراً فقلت لها وقد نسيت مابى

كفكفي دموعك يافاطمة فانا اعدك اني لا أقبل خلافك عروسا لى ولا تهتمي بما قاله والدي فلاجل الحب ارفض طلبه

قلت ذلك وقد ظننت انها عالمة بما دار بيني وبين والدى ولكني شعرت بان تسرعت في الكلام اذا تبين لي انها ما علمت بذلك بعد حيث قالت باندهاش

هل رفض والدك بان نكون لبعضنا ألا نرغب

بأن أكون زوجة لك

فاردت ان أموه عليها لئلا يكدرها الخبر ولكني ارتبكت ولحظت هي ذلك فقالت

لماذا تخفي عني الحقيقة يافائق

فلم أقدر أن أكتم ما بضميري فصحت بصوت يشبه الجنون

كلا كلا انت لي وأنا لك فمن يقدر أن يفصلنا عن بعضنا والويل لمن يقف في سبيلنا

فقالت والدتي والدمع ملء عينيها

كلا لا يقدر على فصلكما عن بعضكما أحد فكونا باطمئنان ياولدي وألقيا على العناية اتكالكما فتنقذكما من الشدائد وتحن عليكما قلب زوجي فيرأف بحالكما ولا يمانع بقرانكما

قالت ذلك واشارت الى ابنة خالتي بالخروج فخرجت وهي تذرف الدموع

واذا خلا المكان بي وبوالدتي وقعت على أقدامها وقلت

أغيثيني يا والدتي من ظلم والدي الذي يريد ان يذبحني على مذبح اطماعه

فقالت ـ اخبرني يافائق مادار بينكما من الحديث

فاخبرتها بما كلمني به والدي فقالت

كن براحة بال يا ولدي فانا لاارغب الا راحتك ولا يكون لك زوجة الا ابنة خالتك

فقم وامسح دموعك واخفي كدرك ولا تخبر احد بما حصل بينك وبين والدك فقبلت يديها وقبلتني بحنو والدي

وقلت لها ـ اني اخاف مما عزم عليه فقد قال ان كتب كتابي على ابنة احمد اغا سيكون بعد ثلاثة ايام

فتدبري يا والدتي بان تبدلي قراني بابنة احمد اغا بابنة خالتي فاطمة

وما كدت افرغ من كلامي حتى فتح الباب ودخلت فاطمة وارتمت على عنق والدتي وبكت

فلحظت انها سمعت مادار بيني وبين والدتي

وشعرت ان هذا الحب متبادل بيننا وان فراق احدنا للآخر يفقده رشده فقالت

طمنا بالكما والقيا اتكالكما على مدبر الكون فهو وحده يدبركما

وصرفت والدتي ابنة خالتي وامرتني ان اغير ملابسي واخرج وان لااظهر لوالدي اني متكدر فاطعتها وفعلت كما امرتني وخرجت وقصدت محل والدي التجاري فلما رآني ابتسم فقبلت يده وجلست بجانبه

ودعا والدي وكيل المحل الخواجا لطفي واظهر له رغبته في تسليمه لي المحل تحت رعايته

فقال الوكيل وهو يحني حبا عظيما

الحمد لله ياسيدي الذي أرى عزيزي فائق قادراً على ادارة عمل عظيم كهذا

فاعهد اليه بالعمل وانا ادربه على كلما يلزم واؤكد لك ياسيدي انه كفؤ لان تسلم اليه الاعمال

وكان الخواجا لطفي رجلا امينا ذا مروءة خدم محلنا التجاري بامانة وادار اعماله بهمة تشهد له بالمهارة

وقد دخل في خدمتنا منذ دخل والدي دمشق وفتح بها محله التجاري فعهد اليه والدي باشغاله وألقى اتكاله عليه فقام بالعمل أتم قيام

فلما أخبره والدي بأنه يريد ان يعهد الي بالعمل فرح فرحاً لا يوصف واخذني من يدي ودار بي يعلمني اسعار البضائع ودرجاتها

وبعد ساعتين تقريبا دخل والدي وجلس بجانبنا وقال الى الوكيل

اتعشم ياخواجا لطفي انه لا يمضي زمن يسير حتى يصير ولدنا فائق قادراً على ادارة المحل

وبعد ثلاثة اشهر اذا شاء المولى سيدير عملا كبيرا يفوق هذا أهمية فقال الوكيل

وما عسى ان يكون العمل

فقال والدي - عزمت ان ازوجه بابنة احمد اغا الشاهبندر بدمشق وبعد تمام العقد وانقضاء ليلة الزفاف نضم المحلين الى محل واحد فيكون ولدي واحمد أغا بصفة شريكين وتكون ادارة العمل بيد ولدي وتحت

فتغيرت ملامح الوكيل وظهر عليه الارتباك فنظر الي فلحظ ان بي مابه واني متكدر من كلام والدي فقال له

ومتى اتفقتما وكيف تتفقا بدون علمي

قال والدى ـ كنا في صدد هذا الامر منذ أربعة شهور ولم نتفق الا امس

قال الوكيل ـ وهل اتفقتما رسميا اى بكتابة أو عن يد شهود

قال والدى ـ كلا

قال الوكيل ـ احمد الله اذا لم يكن الاتفاق رسميا

قال والدى ـ لماذا ياخواجا لطفي الا ترى ان باقتران فائق بابنة أحمد اغا صالح له

قال الوكيل ـ كلا ولا أصادق على ذلك ولا ريد احمد اغا ان يكون شريكا معنا

وانصحك ان ترفض الاتفاق الذى اتفقتما عليه اذ ان ادخال احمد اغا بهذا المحل شريكا يؤدي الى خرابه

وأنا اعارض اذا كنت مصمما على اتمام قصد احمد اغا واعمل جهدي في منع اقترانه بابنة ذلك الرجل وسأستقيل متى رأيت المحلين انضما لاني لا أريد ان أر المحل التجاري الذي عملت جهدي حتى جعلته كعروس بدمشق آيلا الى الخراب

وسكت الوكيل قليلا وعاد فقال

الاوفق ان تقيلني من العمل الآن واذا رأيتم تسليمي ولدكم فاني لاضمه تحت حمايتي أكون ممنونا لكم

فقال والدي ـ وكيف علمت ان المحل يؤول الى الخراب اذ اشتركنا مع احمد اغا

لاسيما وانت تعلم انه من كبار الاغنياء وثروته تبلغ ستين الف كيس «١» فاذا اضفنا اليه ثروتنا وقدرها خمسة وستين الف كيس كما اخبرتني فيكون المجموع ماية وخمسة وعشرين الف كيس فكيف يؤول المحل الى الخراب اذا انضم المحلان

فقال الوكيل ـ هل تكتم الخبر اذا اخبرتك بالحقيقة

«١» الكيس يحتوي على خمسه جنيهات

قال والدي ـ كلا لا يمكنني

قال الوكيل ـ اذاً فانت وشأنك وارجوك ان تقيلني من العمل

قال والدي ـ تكتمك يدل على انك لست امينا لي واعدك الآن خائنا

قال الوكيل ـ أهذا جزائي بعد ان خدمتك بأمانة مدة لا تقل عن ثمانيه عشر عاما

أتقول عني خائنا بعد ان وفيت الخدمة حقها .

لا بأس ياسيدي ارجوك ان تعفيني من خدمتك

وتاثر الخواجا لطفي اذ وصمه ولدي بالخيانة فتناثر الدمع من عينيه وقال هذا جزاء كل رجل يخدم سيده بامانة

وشعر والدي بانه جرح وكيله بنسبته اليه الخيانة زوراً فقال

سامحني ياخواجا لطفي فتكتمك جعلني ان تسرع وافوه بخلاف ما في ضميري وانت تعلم اني لا اعتبرك غريبا ولا صديقا فقط بل اخا اتكل واعتمد عليه في

الملمات . فهل لم تزل مصر على الكتمان

فقال لوكل بصوت مختنق - لقد آن لأن

أفارق مركزى لقد آن الان استقيل ياسيدي

وشعر الوكيل بضعف في جسمه فقال

اعذرنى انى اريد الذهاب الى منزلي

وما كاد يقترب من الباب حتى سقط على الارض

غائبا عن الصواب فاسرع والدي واتي ببعض الخدم

فحملته الي منزله

واستدعى الطبيب لمالجته وبعد فحصه قال انه

مصاب بضعف في القلب وزاده الحزن ضعفا فلم يقوي

على المسير فغاب عن صوابه

وبقيت وحدى في المحل حزينا على ما اصاب

الخواجه لطفى وتذكرت حنوه علي فدمعت عيناي

وما صدقت ان اتى المساء حتى قفلت المحل

واسرعت الى منزل الوكيل فوجدت فيه جمعا غفيرا

جالسا في فناء المنزل ساكتين كان على رؤسهم الطير

منتظرين خروج الطبيب من غرفة المليل ليستفهمو

منه عن صحته

فدخلت على العليل فرأيته لايتحرك والطبيب واقف امامه ينظر اليه بعين الشك وبوجه عابس

وكان والدى جالسا بقرب العليل وعينيه تذرف دمعا مدرارا اذ كان السبب في ما اصاب وكيله

وتحرك العليل وفتح عينيه واجال بصره فوقعت عيناه على والدي ولما رأي دموعه قال

لاتبك ياسيدى

وحانت منه التفاتة فرآني فاشار لي بان ادنو منه وقبض على يدى وضمها الى يدى والدي واخذ يتكلم بكلمات منقطعة

احذر ... من . احمد .. اغا . فتى .. مسكين .. ابنة احمد .. اغا

وغاب الوكيل ثانية عن الصواب فافتكرنا انه مات فاجهشنا بالبكاء

فقال الطبيب ـ لقد اغمى عليه ولكن لاخوف عليه الان اذ قد تحسن قليلا عما قبل وغلبوبته تفيده

فارجوكما ان تخرجا الى الخارج ليتسنى له الراحة

فخرجت من غرفة العليل وقصدت منزلي وقد اطمئننت قليلا عنه مما قاله الطبيب ولما وصلت وجدت والدتي وفاطمه مشغولتي البال لتأخرى عن الحضور

فقالت فاطمه وعينها تقرأ ضميري

لماذا تأخرت ياعزيزى فائق واين كنت للآن لقد أشغلت بالنا

قلت ـ كنت بمنزل وكيلنا الخواجا لطفي فقد بات في خطر

قالت ـ ماذا جرى له

قلت ـ أصيب بمرض شديد كاد يفقده الحياه

قالت ـ مسكين ومتى كان ذلك

قلت ـ منذ اربع ساعات

قالت ـ لقد انشغل بالنا لتأخرك فحسبنا الف حساب

قلت ـ اظنك شعرت بالوحده لعدم وجودي بقربك

فاحمرت وجنتا الفتاة وقالت

صدقت ولا لذة لي الا بقربك ولكن انت ماذا يهمك تغيب كما شيئت وانا اتقلب على جمر لانتظار

قلت ـ هل تشكين في حبي يافاطمه

قالت ـ حاشا لى أن انسب لك ذلك

قلت ـ اذن ماتقولينه من قبيل العتاب

قالت ـ صدقت فان الانتظار صعب على من لا تقدر ان تصبر على بعاد من كرست حياتها له

وقالت والدي ـ أظن انكما لاتتركان لغيركما وقتا للكلام

مهلا يا فاطمة وكما تريدين ان تحدثني بما يلذ لك كذلك أريد ان اعرف اين زوجي

قالت ذلك وهي تضحك فقلت

والدى عند الخواجا لطفي وكيلنا

قالت ـ مسكين هذا الرجل فقد قال زوجي انه من خيرة الرجال

قلت ـ نعم فانه اهل لكل مديح

فأرادت والدتي ان تستفهم مني عن سبب مرضه فاومبت لها بالسكوت لوجود فاطمه فسكتت

وبعد ان تناولنا طعام العشاء قصدت ابنة خالتي غرفتها فبقيت انا ووالدتي منفردين فقالت

اخبرني كيف مرض وكيلنا

فشرحت لها ماحدث من تشبث رأي والدي بزواجي بابنة احمد اغا ومقاومة الخواجا الطفي له حتى اضطر والدي الى وصمه بالخيانه

فقالت - كن مطمئنا ياولدي فلا يكون الا ماترغب

وبينما نحن في الحديث اذ دخل علينا والدي وعليه لوائح الكدر الشديد فسألته والدتي عن حالة وكيلنا فقال

تركته احسن مما كان وقت الغروب ولكنه لايزال في خطر فاسأل الله ان يعافيه

قال ذلك وقام فخلع ماعليه وقصد فراشه وقصدت انا ايضا غرفتي وكانت ملاصقة لغرفة والدي ولا يفصل بينهما غير الباب فوضعت اذني على ثقب القفل واذ لم

اسمع شيئا تاكد لى انهما ناما
فتكدرت وكنت اظن ان والدتي تخاطبه بشأني
اذا اختليا ولكن خاب ما كنت اؤمله
واخذت افكر في ماذا يصير لي اذا ألزمني والدى
بالاقتران بابنة احمد اغا وماذا يكون جزائي اذا رفضت
الاقتران بها
كيف تكون حالة ابنة خالتي فاطمه اذا رأتني
اضم الى صدري ابنة ذلك الرجل العاتى لاشك انها
تقول ياخائن
ماذا يصير بها اذا اقترنت بتلك وتركتها لاشك
انها تموت حزنا واكون انا الذي قتلتها
فقلت — كلا لا اقترن بخلافها
ولكن ماذا يفعل بي والدى اذا قلت ما ارضي
خلاف فاطمة زوجة لى
الله يعلم ماذا يفعل بي ... هل يرحمني لاني ولده
... هل يشفق على لاني وحيده
مازالت الافكار تلطمى كما تلطم الامواج الصخور

وانا لا اعرف لنفسي مخرجا منها ولا اعرف كيف اخرج من الحالة التي انا فيها مع والدي حتى كدت أيأس لولا ان فتح باب غرفتي فجأة ودخل علي رجل بلحية بيضاء ووجهه يسطع نوراً وله هيبة ووقار عظيمين

وكان لابسا ثيابا بيضاء كالثلج حتى ظننته لاول وهلة روحا لولا انه مسك يدي وقال لي بصوت يشابه الارواح

لا تقنط ولا تيأس ياولدي من رحمة ربك وكن صبوراً على الشدائد واحتمل الاهوال ماقدرت فستكون يوماما رجلا عظيما تنفع وطنك وأمتك فاياك ان تيأس وترمي بنفسك في الهلاك

فقلت — كيف أقوى على احتمال ظلم والدي الذي عزم على اجباري على الاقتران بمن لا يميل قلبي اليها وكيف اقدر ان اصبر على فراق من احب

قال — « يانعمة » وانا ايضا ارغب بان لا تقترن بابنة احمد اغا فاترك منزلك بل دمشق باسرها اذا حتم عليك الزواج وسافر حتى يعود والدك الى نفسه

قلت - والى اين اسافر ياسيدي

قال الله هو الذي يرشدك الى ذلك ياولدي

قال ذلك وتوارى وراء الباب واحتجب فاسرعت

لارى اين ذهب ولكنى لم اجد احداً

فلم يزر جفني الكرى تلك الليلة وبقيت اذكر

كلام الهاتف حرفاحرفا ولا اعرف كيف دخل ذلك الروح

وكيف خرج

وبعد ساعة من اختفاء الهاتف سمعت والدي

يطلب الابريق كي يتوضأ للصلاة

فقمت وخرجت من غرفتي الى نافورة في وسط

المنزل وصليت بعد ان توضيت

وقد انبلج النهار واخذت في التقدم طلائع نوره

المدهشة للابصار وأخذت جيوش الظلام في الهروب

وجيش النهار يفتخر عليها للوثوب

وقفت انظر الى السماء المرصعة بالكواكب كحجارة

من ماس تسطع فى القبة الفلكية ولسان حالها يسبح

خالق البرية

ولكن ما لبث ان سطع الكوكب العظيم وفرش أشعته على الكون فقضي على الكواكب الصغيره وأوقعها بعد العز والافتخار فى حيره

صعدت الي أعلا المنزل فكالتني أشعة الشمس الذهبيه فنظرت الى الحقول واذا بها كحلة سندسيه بفضل أشعة الكوكب الاعظم

وبعد ان متعت نظرى رجعت الى غرفتي لاغير ملابس النوم فسمعت لغطا في غرفة والدي فادنيت أذني الى مفتاح الباب فسمعت والدتي تقول لوالدي

هذا لايكون أبدا ولا أصادق على زواجه بابنة احمد أغا

فقال لها والدي - لابد من زواجه بها ولو عارض بذلك أهل الارض بأجمعها حتى ولو اضطرنا الي الافتراق عن بعضنا

فاياك ومعارضتى مرة أخرى وحذار من أن تضعي في فكره ان زواجه بابنة أحمد أغا غير موافق

فقالت - بل يلزمك أن ترجع عن عنادك لان فاتى

لايميل الا لابنة خالته

فلا أقبل زواجه بخلاف فاطمه ولو أدي ذلك « الى طلاق » منك أتريد أن يقتل ولدى وابنة خالته نفسيهما وأكون انا القاتلة لهما بيدي

فاستشاط والدي غضبا وصاح بصوت مرعب تكوني طالقة بالثلاثة يا ام فائق اذا عارضتني مرة اخري وان رفض فائق الزواج بابنة احمد أغا فليس له عندي الا الموت فهو خير دواء لمن كان مثله يعصو والده

قال ذلك وخرج من الغرفة وهو يقول

انا داهب لاري وكيلي الخواجا لطفي

وكنت قد دخلت غرفتي قبل ان يخرج فلم يرني وبعدان خرج من الغرفه عاد اليها ثانيا وقال لوالدتي

متى افاق فائق اخبريه ان لامناص له من الزواج بابنة احمد اغا وحدريه من رفض دلك وخوفيه من غضبي ثم قولى له ان يذهب الى المحل لملاحظة العمل

[illegible] لاتزالين تأبين مساعدتي وترومين
[illegible] للخروج وفارقي المنزل قبل رجوعي
[illegible] يمين الطلاق نفذت

فاخذت والدتي بالبكاء فدخلت عليها بعد ان
خرج والدي فوجدتها بحاله يرثى لها من الحزن فبكيت
فالتفتت الي اذ لم تكن شعرت بدخولي عليها وقالت

انت هنا يافائق فلماذا تبكي ياولدي

قلت — لقد سمعت مادار بينك وبين والدي
بسببي فلا تعارضيه في شيء لاني لا احب ان اكون
السبب في الفصل بينكما

قالت — وماذا عزمت ان تفعل ياولدي العزيز

قلت — سألقي اتكالي على المولى فهو القادر على
ان يهديني الي مافيه الخير واذا سألك عن مسألة الزواج
فاخبريه اني قبلت ورضخت لامره

ثم مسحت دموعي وقلت

نعم يلزمني اتمام ارادة والدي لاني متاكد انه
لايريد لي الا الخير واتمشم يا والدتي الحنونه بان

لاتخبري فاطمة بشيء حتي يتم مايرغبه الذي [illegible]

وبما انه طلب منك أن تأمريني بال[illegible] الى المحل

فطبقا لارادته أنا ذاهب

وتقدمت وقبلت يديها وخرجت حتى صرت خارج المنزل فتنفست الصعداء كأني خرجت من الجحيم الى النعيم

وبينما أنا سائر الى المحل خطر على بالي الهـ[illegible] الذي زارني ليلا وكنت قد رسمت صورته في مخيلتي

فمن هـو هـذا ياترى ابشر أم روح وفطنت انه امسك بيدي فقلت كلا هو بشر مثلنا

ثم عاد الي الشك اذ لما كلمني كان صوته يشابه الارواح

وكنت اقول ربما كنت احلم وتخيل لي انى أخاطب روحا ولكنه لمس يدي فاذن كنت اخاطب بشرا

ومازلت في هواجسي حتى وصلت المحل فوجدت العمال فتحوه وكل منهم يدير عمله

وكان الشاب الياس بن وكيلنا الخواجا لطفي جالسا بقرب الباب والكآبة على وجهه ظاهرة

فوقف اذ رآني وحياني فسألته عن صحة والده فقال انه بقي غائبا عن الصواب حتى بزوغ الفجر ففتح عينيه وجلس في فراشه ودعاني اليه وأمرني بان أذهب الى المحل وأنظر العمل حتي يشفي من مرضه

ووقتئذ دخل علينا والدك وانشرح صدره اذ رأى والدي قادرا على الجلوس والتكلم وجلس بجانبه

وبكى والدي اذ رأى والدك جالسا بجانبه ولا أعلم السبب لذلك فسأله والدك عن السبب فلم يجب بل قال مغيرا الحديث

لقد أمرت ولدي الياس أن يكون بدلى في المحل حتى اشفي فصادق والدك وأمرني بأن أذهب الى المحل

وقد حضر الطبيب ياسيدي عند بزوغ الشمس فاخرجنا من الغرفة وفحص والدي ووصف له الدواء وخرج

فلحقت أنا ووالدك بالطبيب وسألناه عن صحة

والدى فأجاب انه أحسن قليلا من قبل

ولكن يجب مداراته لئلا يحدث مايكدر خاطره فيعود الى أردأ من حالته الاولى

وبينما انا والياس في الكلام واذا بيد وضعت على كتفي فالتفت فرأيت احمد اغا يبتسم

فشعرت بنفور منه لاول وهلة ولكني كظمت غيظي وسألي عن والدى وعن صحة وكيلنا الخواجا لطفي

فأجبته انه لا يزال مريضا وان والدي عنده

وأخذا احمد اغا يحادثني ولكني كنت اقابل كلامه بالاحتقار فلحظ دلك وسألي عن سبب كدرى

فقلت مموها ان السبب مرض وكيلنا

قال - ولماذا تتكدر ووكيلكم مسيحي ولا هو ذو قرابة لكم فازداد استيائي منه ولو لم يكن غنيا لما اعتبرته

فقلت له أ لكونه مسيحيا اولا قرابة بيننا وبينه يحط من قدره فأعلم ان له الفضل علي اذ قد رباني منذ كنت طفلا

قال - يظهر انك تميل اليه كثيراً حتى انك مدحته

وجاوبتني بكلام لا يليق ممن سيكون نسيبي

قلت — هو الانسان الوحيد الذي افضله بعد والدي

ولا احب ان اسمع المذمة فيه

واحسب كل من يتكلم عنه بخلاف الطيب عدواً

فارجوك ياآغا ان لا تذمه أمامي

فضحك من كلامي، قال

هل تحبني ياهائق كما تحب وكيابكم الخواجا لطفي

قلت نعم اني احبك واعتبرك ولكنك لست عندي

بمنزلة الخواجا لطفي فتكدر من كلامي ولكنه كظم

غيظه وقال

هل اخبرك والدك بما اتفقت انا واياه عليه

قلت ـ كلا لم يخبرني بشيء له علاقة بك

قال ـ ألم يخبرك بانك ستتزوج ابنتي بعد يومين

وتصبح نسيبي

قلت ـ ارجوك ان لا تمزح ياسيدي فمن اكون انا حتى

اصبح نسيب احمد اغا شاهبندر تجار دمشق

وهل عائلة شريفة النسب عالية الحسب كعائلتكم

قلت ـ كلا ولكنى اقول لك انها مهما تكون جميلة لا ارغب ان اتزوج بها ولو اغضب ذلك والدى وفقدت حياتي

واعلم انه اذا تم عقد الزواج رغماً عنى اقتلها ليلة الزفاف واقتل نفسي بعدها

فضحك ضحكا عالياً وقال

ان جهل الشباب آخذ حده منك وقد اتفقت انا ووالدك على الزواج وانا متأكد انك اذا رأيت ابنتي فعوضا عن ان تقتلها تضمها الى صدرك

وسأعانقك انا أيضاً ليلة كتب الكتاب واذكرك بما قلته قال ذلك ضاحكا وخرج

وكان الياس ابن وكيلنا الخواجا لطفي حاضراً وسمع مادار بيني وبين احمد اغا

فلما خرج اقترب مني وسألني اذا كنت خطبت ابنة احمد اغا

قلت ـ كلا ولكنه يرغب تزويجي بها رغما عنى

قال ـ وهل لوالدك رغبة فى زواجك بها

قلت ـ نعم وقد عرض علي ذلك

قال ـ وانت تقول ان لا رغبة لك في الزواج بها

قلت ـ قلت وأقول أن لا رغبة لي بمناسبة احمد

اغا مطلقا ولو أدى ذلك الى هلاكى

قال ـ وهل يعلم والدك بذلك

قلت ـ نعم وقد أخبرته أنى لا ارغب ان اناسب

هذا الرجل ولكنه يرغب اجباري على الاقتران بها

فنظر الي الياس وقال

مسكين انت ياسيدي

قلت ـ ولماذا يا الياس

قال ـ لقد أوشكت أن تقع بيد هذه الافعى التي

في لين كلامها العطب احذر من هذا الرجل ياسيدي

ولكن ...

وسكت الياس فجأة فقلت له

اكمل حديثك ياعزيزي

فقال ـ هذا كلما اعرفه

قلت ـ بحق الصداقة يا الياس لا تخف عني شيئاً

قال ـ اعلم ياسيدي ان احمد اغا يرغب مناسبتك لاحبابك بل طمعا في مالك فهو يرغب ان يستولى عليه

قلت ـ كيف يقدر يستولى على مالنا ونحن نحافظ عليه

قال وهو يضحك ـ اعلم ياعزيزي فائق ان احمد اغا رجل يحب المال ويحلم به في نومه ولكنه لا يحب أن يكون احد اغنى منه

وعلاوة على ذلك فانه يكره والدك لانه يزاحمه في تجارته وهو يظهر له الصداقة والوداد حتى يسلب اموالكم

واری الآن انه اقترب من نوال مرغوبه اذ باطاعة والدك له واجابته على طلبه ينال ما كان يحلم به

قلت ـ هل هذا اكيد

قال ـ نعم فمنذ بلغت سن الرشاد وهو يتوددويتقرب الى والدك وبعد خمسة شهور اجتمعا فى منزلكم فأخبره والدك بما حزته من العلوم وانه اى والدك مستعد لان يسلمك عموم اشغاله في آخر هذا العام

فاشار عليه احمد اغا بان يزوجك بابنته وبقي يلح عليه
ووالدك يماطل حتى نجح احمد اغا أخيراً

قلت .. كيف نفذت حيلته على والدي

قال — لقد اخبر والدك بانه يريد ان يتنازل عن كل
ممتلكاته وعقاراته الى ابنتــه خوفا من ان تختطفه يد
المنون ويفارق هذه الدنيا فيتداخل اولاد عمــه وذوو
قرابته في الميراث ويحرمون ابنته منه فوافقه والدك على
رأيه فسأل والدك اذا كان لا يزال راغبا في مناسبته
فأجابه انه غير مستعد لمعدات الزواج فقال احمـد اغا
لوالدك

اذا كنت ترغب زواج ابنك بابنتي بعد خمسة
عشر يوما فانا مستعد لان احررلها قبل كتب الكتاب
وصية بكل امتلاكه فتكون الوارثة الوحيدة بعد وفاتي

فتهلل وجه والدك فرحا طمعـا في مال احمد اغا
فقال له

هل حقيقة تفعل ذلك

أجاب - نعم ثم أسلم ولدك ادارة عموم اشغالي ثاني يوم كتب الكتاب

ثم عرض على والدك اذا كان يرغب ان يضم اشغالكم الى اشغاله بحيث يكون المحلان محلا واحدا ويكتب شروط اشتراك بينهما وتكون انت المدير للعمل

وانطلت على والدك حيلته وقبل بما عرضه عليه احمد اغا ولم يعلم ما وراء ذلك من المقاصد فعينا لكتب الكتاب يوم الجمعه الآتي

قلت - وما الخوف ياعزيزي الياس اذا كان احمد اغا قبل ان يتنازل عن عموم ممتلكاته الى ابنته او يسلمني امواله لادارتها بمعرفتي

فضحك الياس وقال

الخوف من ان يموت ولا سمح الله والدك ثاني يوم زفافك ثم تحقق انت انه بعد اسبوع فيضع وقتذاك احمد اغا يده على جميع اموالكم بدون منازع

وما كاد الياس أفندي يتم هذه العبارة حتى انذعرت وسرى الدم في عروقي بارداً وقلت له ولم افطن لمعنى كلامه

وكيف ذلك ياالياس ومن يعلم بالاعمار غير الله فلربما مات هو قبلنا فنستولى نحن على ممتلكاته

فابتسم وقال ـ لقد تقرر موتكما منذ اتفق والدك معه وسيتم ذلك بعد زفافك

فأخذ العرق يتصبب من رأسي باردا وقلت له

هل يتجاسر على عمل مثل هذا

قال — لقد اخبرتك بما قرره احمد اغا وسينفذه بعد زفافك بيوم

قلت ـ وكيف علمت ذلك ومن اطلعك على ماعزم عليه

قال لا اقدر ان ابوح باسمه ولا تطمع باكثر من ذلك . وكفى اني اطلعتك على خبث سريرته ونيته فانصحك بان لا تقبل بزواج ابنته ولو غضب والدك

ولو لم يمرض والدي لما تم الزواج بل كان يقاوم والدك واحمد اغا حتى يفسد اتفاقهما

وما كاد الياس يتم كلامه حتى خطر على بالي مادار بين والدى ووكيله لطفي افندي من الحديث

الذي ادى الى مرضه فاخبرت الياس بذلك فتأثر مما
حصل لوالده وقال

هل هذه مكافأة والدي الذي خدمكم مدة حياته
بأمانة لماذا يهينه لماذا تقول له ياخائن مع انه مخلص
ومحب له حتي كان السبب في مرضه

قال ذلك وتناثر الدمع من عينيه واخذ في
البكاء ثم قال لقد نصحتك ياعزيزي فائق فاحذر من
ان تطيع والدك لئلا تذهب فريسة أحمد اغا الوحش
المفترس

ثم ابتعد عنى وأخذ يمشى ذهابا وايابا بقرب الباب
وهو في غاية الكدر

فقمت من مكاني واقتربت منه راغبا في أن اعود
الى الحديث معه فاعرف منه الذى اعلمه بقصد ونية
احمد اغا ولكني قبل ان افوه بكلمة قال اتركني ياعزيزي
فائق الآن لاني فى كدر لما حصل الى والدى بسبب
اتهام والدك له بالخيانة وعدم الوفاء

ثم ابتعد عني فرجعت الى مكاني وجلست على احده

الكراسي مضعضع الحواس شارد الفكر حتى بعد الظهر فدخل علي والدي فقمت وقبلت يده ولحظت انه متكدر وسألته عن صحة وكيلنا فقال

لا يزال على حالته مريضا وقد قررت الاطباء ان حياته في خطر

ثم طلب والدي من أحد الخدم ان يأتيه بطعام الغذاء وطلب من الياس ان يتناول معنا الطعام ولكنه رفض فلحظ والدي كدره وتكدر لاحله وقام اليه وما زال معه حتى أتى به وأجلسه بجانبي وصار يطمئنه وأجبره بان يتناول الطعام معنا

وبقي والدي في المحل ساعة ثم قال لنا أنه قاصد منزل وكيلنا لطفي افندي ورعا يبقى هناك الي الساعة السادسه او السابعة عربية مساء

وأمرنا عند الغروب ان نقفل المحل فيأخذ الياس مفاتيحه ويسير كل منا الى منزله

ولما خرج والدي اردت أن احادث الياس لاذهب مابقلبه من الهموم ولكنه قال

ارجوك يافائق ان تتركني . كدري لا يقدر ولا يوصف
لما اصاب والدي

فتركته ودخلت غرفة المكتب وسبحت في بحر من
الافكار تلاطمني امواجه الزاخره فأتت بى الى ذكرى
ماضئ حياتى منذ كنت طفلا ثم وقوعى بحب ابنه خالتى
فاطمه حب الطفوليه وما مضينا ونحن بذلك السن من
أوقات السرور ثم تزايد الحب بيننا الى هيام ثم ماحصل
بيني وبين والدي بشأن زواجي بابنة أحمد اغا

غرقت في بحر من الهواجس ولكني لم أقدر على
الخروج منه وطلبت المعونة فاني النجدة فانتبهت لخادم
اقترب مني ولم أشعر به وكلمني ولم أسمع غير صدى
صوته الذي رن في أذني فأيقظني مما كنت فيه فقلت له

ماذا تريد ياسليمان اجاب

لقد اتي الميعاد لاقفال المحل

فقمت وودعت اليـاس وخرجت قاصدا منزلنا
وقبل ان ادخل من البـاب شعرت بيد وضعت على
كتفي وقائل يقول

مالي اراك ياعزيزي فائق بهذه الحالة

فالتفت فرأيت احمد احد سكان حارتنا وساكنا

بجوارنا ينظر الي ويبتسم فاجبته

لاشيء ياعزيزي احمد

قال ـ اني اراك متكدر او امك مريض فاخبرني

الحقيقة

قلت ـ لاشيء ياعزيزي

ولكني لم اقدر ان امسك دموعي

فامسكني من يدي وقال

ما بالك حزين

واخذ يلح علي لاخبره عن سبب بكائي فبعد

الجهد اخبرته عن كلما حدث بيني وبين والدي

سكت قليلا وقال

وماذا عزمت ان تعمل الآن

قلت ـ لقد صممت النية على ان ارفض الزواج بابنة

احمد اغا ولو الزمتني الحالة الى قتل نفسي بيدي

قال ـ لا موجب لذلك فهل تطيعني وهل تقبل مشورتي

فتخلص مما انت فيه

قلت ـ وما هو اقتراحك ايها الصديق

قال ـ لما توفت والدتي مثل ثلاث شهور تركت لي ميراثا عشرين كيسا ذهبا اى مئة دينار فاذا كنت تريد الخلاص فعليك بالهروب من وجه ابيك الى البلاد الاجنبية فتبقى فيها شهراً او شهرين حتى يرجع والدك عن عناده ويترك مسألة زواجك بابنة احمد اغا فتظهر نفسك بيسترضيك فتعود اليه وتتزوج بمن تحب

فان كنت تقبل باقتراحي فانا مستعد لان ارافقك فتسافر الليلة قبلما يعلم والدك بتصميمك على الهروب

لا تفتكر في النقود ان لم يكن معك فما معي يكفينا حتى يسترضيك والدك وتعود اليه وبعد ذلك اذا اردت وكافئني بما تشاء والا فاسامحك بكلما اكون قد صرفته عليك

قلت — اين المئة دينار

فاخرج احمد عدة اكياس ملاءى بالذهب ثم قال ماقولك في اقتراحي

واذ كنت على وشك ان أرفض طلبه واقتراحه خطر على بالي الهاتف الذي اتاني الليلة الماضية ولا اعلم كيف ولا من اين اتى ثم تصور لي انه واقف امامي يكلمني ويقول لي

طعه ولا تخالفه لانك ستنال خيراً اذا هربت من وجه ابيك

ثم زال ما تصورته ونظرت الى أحمد الذي كان واقفا بجانبي ينظر الي منتظرا جوابي فقلت له

لقد قبلت وسلمت امري اليك بعد الله

فتهلل وجه احمد سرورا وقال

مادمت صممت النية على الفرار معي فادخل منزلك دون ان تعلم احداً بما صممنا عليه

وفي الساعة الخامسة عربية مساء تصنع ما امكنك حمله من الملبوس داخل صرة وتخرج من المنزل بعد ان تقفل باب غرفتك دون ان يشعر بك احد فتجدني بانتظارك عند الباب فنسير الى الخان ونأخذ فرسين من جياد الخيل أكون قد استأجرتهما في هذا المساء

ونخرج من دمشق دون ان يعلم بنا احد

قالت - واين تقصد اذا خرجنا من دمشق

قال - على الاغلب بيروت

ثم ودعني بعد ان دقق علي بان لا اتأخر عن الميعاد الذي اتفقنا عليه

فدخلت المنزل فوجدت والدتي واقفة بفنائه فاسرعت الي واذ رأتني متكدراً ضمتني الى صدرها وكان قلبها قد دلها على انى سأفارقها فراقا لا لقاء بعده فبكت وقالت

أراك متغيراً ياولدى ألا زلت متكدراً من والدك

فاجبتها كلا ياوالدتى الحنونة فقد راجعت نفسي ووجدت ان الحق في جانب والدى فصممت ان لا اخالف له امرا وان اقبل بزواجي بابنة أحمد عا ولكني سأكون متكدراً لاجل ابنة خالتي فاطمه ابنة خالتي التي تلقى بنفسها في التهلكة لاجلي فلا أرتاح ولا اكون مسروراً الا اذا وجدت لها زوجا تقبل به

وكأنها لم تصدق ما قلته لتأكدها عظم هيامي بفاطمة فازدادت بكاء ولكنها قالت وهي تشرق بدموعها عسى أن يكون ما قلته حقا فلا تعاند والدك ياولدي المحبوب لئلا تجلب علينا الكدر

واكتم الخبر ياولدي لئلا تعلم فاطمة بقبولك الزواج بابنة احمد اغا فيقضي عليها من الحزن

وقد عزمت ان ارسلها الى زيارة عمها في منزله لانه طلبها مراراً

فصادقت على اقتراح والدتي واخبرتها بان والدي لا يأتي المنزل إلا في الساعة السابعة عربيه مساء

قالت - وأين هو الآن

قلت - بمنزل وكيلنا العلمي

قالت - وكيف حال وكيلنا

قلت - لا يزال مريضا

وطلبت ان يجهزوا لنا الطعام وبعد برهة مدت المائدة فدخلت ابنة خالتي فاطمة وتناولنا طعام العشاء وتحادثنا حتى الساعة الثالثة عربيه مساءا فطلبت من

والدتي ان تأذن لي بالذهاب الى فراشي مدعيا انى
تعب وفي احتياج الى الراحة فاذنت لي فرحوتها ان
لا تيقظني باكراً

ثم قصدت غرفتي واطفأت القنديل وفتحت خزانة
ملابسي وأخرجت منها سترتين ولففتهما بصرة وانتظرت
حتى أتت الساعة الخامسة ونام كل من في المنزل ففتحت
باب غرفتي وخرجت واقفلته وأخذت مفتاحه معي
وخرجت من المنزل واغلقت بابه دون ان يشعر بي احد

وما كدت اخطو حتى اقترب مني أحمد الذي كان
منزويا بقرب الباب وامسك بيدي وسرنا ساكتين الى
الى الخان وأمرني ان انتظره على بابه

ثم دخل وبعد برهة خرج يقود فرسين فركبناهما
وأخذ مني الصرة ووضعها في الخرج تحته وسرنا في
ذلك الليل الدامس حتى خرجنا من دمشق وسرنا
بين البساتين فقال لي احمد

علينا بان نسرع في سيرنا لئلا يلحق بنا من يكون
قد لحظ هربنا فيقبض علينا

فهمزنا الجوادين فسارا بنا يختطفان الطريق فوصلنا عند بزوغ الشمس الى احدى القرى فأشار علي بان ندخلها لراحة انفسنا والجوادين

فقابلنا اهالي القرية بترحاب واكرمونا وقدموا عليقا للجوادين فدخلنا منزلا فيها

ومما اصابنا من مشقة السهر غفونا حتى ايقظنا صاحب المنزل الساعة التاسعة عربيه وقدم لنا الطعام

فقمنا وامتطينا الجوادين وأراد احمد ان يدفع ثمن الاكل لصاحب المنزل فأبى فشكرناه وسار بنا الجوادان بقية ذلك النهار وطول تلك الليله

وما اشرف صباح اليوم الثانى الا ونحن في بيروت وقصدنا خانا في ساحة البرج وسلمنا الجوادين لصاحبه واخذنا بها وصلا وسرنا الى خان بجانب البحر وأخذنا غرفة فيه وبعد ان استرحنا قليلا قال احمد

انى ساريثما آتيك بالطعام

ثم قصد السوق وبعد برهة عاد يحمل شيئا كثيرا من جبن ولحم وغيره ثم فاكهه ايضا

وبعد ان تناولنا الطعام قال لي

يجب ان نسافر حالا

قلت - لماذا وما سبب العجلة

قال - لقد اقتفوا اثرنا

قلت - ومن هم

قال - لما خرجت لابتياع المأكول نظرت اثنين من الشرطه مع تابعكم محيي الدين قاصدين الضابطه فاصابني رعب شديد وتأكدت انهم لحقوا بنا ولكي اردت ان اؤكد الامر فارسلت احد اولاد الازقة وراءهم ليعلم سبب حضورهم بعد ان انقدته درهمين واوعدته ان انقده مثلهما اذا اتاني بالخبر الاكيد

فعاد الي بعد برهة واخبرني بانهما اتيا من دمشق في أثر احد اولاد الاغنياء كان قد فر من والده

ففهمت من كلامه اننا المطلوبان

قلت - ربما يفتشان على غيرنا

قال - كلا لان تابعكم محيي الدين مع الشرطيين

قلت – والى اين ومتى نسافر

قال – هيا الى النافذه وانظر

ثم أخذني من يدي ودنونا من النافذة فاشار لي بيده الى مركب شراعي على بعد في البحر وقال نسافر في هذا المركب

قلت – ومتى يسافر

قال – بعد ساعتين

قلت – واين يقصد المركب

قال – يقصد الاستانه فيمر بطرابلس واسكندرونه وازمير فالمدينة التي توافقنا ننزل فيها

قلت – دبر ما تريد فقد قبلت ان اسافر معك

قال – انتظرني ريثما آتي واحذر من ان تخرج لئلا يقبض عليك

ثم تركني وخرج وعاد الي بعد نصف ساعه وحمل الخرج على كتفه وقال اتبعني

فتبعته حتى وصلنا شاطيء البحر فوجدت قاربا بانتظارنا فركبناه وسار بنا الى المركب فصعدنا اليه

واخذنا غرفة فيه داخلها فراشين

وأقلع بنا المركب يشق عباب البحر ورسى على عدة مواني لكي اتمكن من النظر والتفرج عليها لما اصابني من الدوار

وفي صباح اليوم الثاني عشر بينما كنت في فراشي نائما ايقظني احمد وقال

قم وتفرج على ضواحي الاستانة فلا يلبث بعد ساعة او ساعتين ان يربط المركب عليها

فقمت من فراشي وخرجت من الغرفة وصعدت الى سطح المركب فاذا به سائر بين شاطئين من الغياض الزاهرة والاشجار الباسقة والابنية الشاهقة والقلاع الحصينة والطوابي المتينة

فتقدم مني احمد وقال

نحن الآن في مضيق الدردنيل يا صديقي

فانشرح صدري لتلك المناظر البديعة التي تأخذ بمجامع القلوب. بعد قليل رسى المركب على بعد قليل من الشاطيء واحتاطت بالمركب القوارب فنزلنا

باحدها الي البر وبعد تفتيش ثيابنا في الكمرك دخلنا المدينة فاسرت من جمال ابنيتها الخشبية وكثرة الازدحام في شوارعها

فسرنا حتى استدللنا على « خان الشوام » فقابلنا صاحبه وطلب أحمد منه ان يؤجر لنا غرفة مفروشة لنزولنا فيها

فادخلنا غرفة جميلة تطل على الشارع وخرج وكنت قد شعرت بالجوع فاخبرت احمد بذلك فتركني وقصد السوق وابتاع ماقدر على حمله من المأكول ثم عاد الي

وبعد ان فرغنا من الاكل جلسنا نتحادث فقلت لاحمد ها نحن الآن قد ابتعدنا عن اهلنا فكيف نسحب معاشنا

قال ـ لاتهتم بذلك فالمئة دينار لاتزال معي ولم نصرف منها ولا درهما فهي تكفينا سنة ونصفا وفي خلال هذه المدة يعلم والدك بوجودك هنا فيأتي اليك فيسترضيك ويأخذك معه الى دمشق

قلت ـ وان لم يصل خبر وجودي هنا اليه أواذا فرضنا وعلم بأني في الاستانة ونظرا لعدم اطاعتي له وهروبي منه اهملني فماذا يصير بنا

قال ـ لاتتصور ذلك وأنا أعلم منك بحب الوالدين لاولادهم لاسيما وأنت وحيدهما فكيف يتركانك

وتأكد ان والدك يدفع كلما يمتلكه لمن يردك اليه أو يعلمه بمحل وجودك

واذا فرضنا ان والدك اهملك كما تقول فانا الذي كنت السبب في عصيانك له اكون ملزوما بان اقدم لك كلما تحتاجه فلا تهتم بشيء أيها الصديق

قلت ـ لقد القيت اتكالي عليك بعد الله منذ خروجي من دمشق ولا ازال كذلك الآن

ولكني خائف من ان تفرغ النقود التي لك فلا نعرف كيف نسحب معاشنا

فالاوفق ان نفتح محلا بما معك من النقود ونحصل على معاشنا ونكتفي شر الحاجة وربما ساعدتنا الاقدار فننجح ونصير من كبار التجار

قال ـ رأيك موافق فسأبحث عن محل فيها الآن
واستبدل ملابسك بأخرى جديدة لافرجك على المدينة

فأبدلت ملابسي وخرجنا نتفرج على عماراتها
الجميلة منتقلين من شارع الي آخر حتى وقت الغروب
فرجعنا الى الخان ودخلنا غرفتنا ثم بعد ان تناولنا الطعام
قام كل الى فراشه لما قاسيناه من متاعب السفر

ولما استيقظنا في الصباح خرج احمد ليبتاع طعاما
وبقيت في انتظاره

وصارت الساعة ستة ولم يأت فانشغل فكري
وظننت انه تقابل مع صديق له اذ كان قد اخبرني انه
أتى الاستانة مراراً مع والده وله جملة اصحاب فيها

فقمت الى المائدة وأكلت ما تبقى من طعام الامس
وجلست بجانب النافذة انتظر رجوع احمد بفروغ صبر

وأتى المساء ولم يأت احمد فقمت الى صاحب الخان
وسألته اذا كان رآه أو يعرف أين هو

فطمني قائلا

لربما اجتمع بأحد أصدقائه فحجزه عنده ليتناول

معه طعام العشاء

فذهبت الي غرفتي وانا مشغول الفكر ونمت فيها الى الصباح ولم يأت احمد

فذهبت مرة أخري الى صاحب الخان وسألته عن احمد فلم يجبني بالخبر الاكيد

فرجعت الى غرفتي وصعد الدم الى رأسي وظننت انه هرب مني لاني صرت حملا ثقيلا عليه

وتكدرت كدراً شديداً لاني غريب وخال من النقود

ثم التفت فوجدت صرة ملابس احمد على حالها في الغرفة فظننت انه غاب لسبب اضطره على البقاء خارج الخان

وأتي المساء فلم يحضر فقصدت صاحب الخان مرة ثالثه واخبرته بعدم حضور احمد وطلبت منه أن يهديني الى طريقة للبحث عنه

فسكت صاحب الخان ولم يجبني فسال دمعي وبكيت فرثى لحالي وقال

هل احمد اخوك

قلت ـ نعم

قال ـ لاأصدق فكيف يكون الذئب اخ لجمل الوديع

فلم افهم معنى كلامه فقال

مااسمك

قلت — فائق

قال ـ اعلم يافائق انه منذ نزلتما عندي بالخان اشتبهت بمرافقتك لمن تدعي انه أخوك

ولما كان يجب علي أن أعلم كل شيء واعرف كل انسان ينزل بالخان بثثت العيون والارصاد عليكما منذ دخولكما لا علم من انتما ولماذا أتيتما الاستانة

وقد سمعت مادار بينكما من الحديث وعلمت انك ابن أحد اعيان دمشق ولست شقيق احمد وانك هربت من دمشق باغرائه بسبب ماحصل من النفور بينك وبين والدك

ثم سمعت انك عرضت عليه أن تشتغلا بما معكما من النقدية فرفض أولا ولكن لما رآك مصمما على

رأيك اوعدك كذبا

ولما خرجتما من الخان منذ يومين ارسلت وراءكما
احد اتباعي ورجع بعد عودتكما فاخبرني بان صاحبك
يعرف الاستانة كما لو كان مولوداً بها

ولما خرج صاحبك امس سألته عن وجهته
فاجابني انه قاصد السوق لمشترى مايلزم ولكنه لم يرجع

ولو كنت اعلم انه سيتركك ويفر منك لكنت
ارسلت احد اتباعي في اثره

ولما اعلمتني بغيابه امس ارسلت احد اتباعي
فبحث عنه في عموم الاستانة فلم يقف له اثر

فأنا الآن مطلع على اسرارك فاخبرني من انت
ولماذا تركت والديك وهربت مع من تدعوه أخاك
وهل النقدية الموجودة معكما هي لك شخصيا ام لكما
سوية وهل هي الآن معك ام مع احمد

ولما تأكدت ان صاحب الخان مطلع على اسراري
انذعرت ووقعت على رجليه وأخذت اقبلهما وأبكى
فرفعني وقال لى

لا بأس لا تبك فاخبرني من انت وما حدث لك فاعينك على مصابك واساعدك ما قدرت

فأخبرته بجميع ماحصل لي مع والدي وكيف اني هربت منه لاتخلص من الزواج بابنة احمد اغا

فسكن روعي وقال

لا تخف ولا تهتم بشيء فانا مستعد لان أقدم لك احتياجاتك ثم دعا خادمه وامره بأن يأتيني بالطعام فلبى الخادم الامر وخرج

وذهبت الى غرفتي وبعد برهة أتى الخادم يحمل طعاما فاخراً ووضعه امامي وخرج

فتناولت جانبا من الطعام لاني كنت جائعاً ثم جلست افكر في حالتي متندما على خروجي من دمشق واطاعتي لاحمد الذي تركني ساعة الضيق وفر

فكرت في الساعة التي كنت فيها في بيت والدي محترما من خدمي معتبراً من أهالي دمشق لما كان لوالدي من المنزلة الرفيعة وما وصلت اليه حالتي الآن من التعاسة والشقاء

وبينما أنا كذلك دخل صاحب الخان وابتسم
لما وجدني اكلت من طعامه وجلس بجانبي وقال لي
وهو يضحك

ما دمت صرت لي فلا تهتم فسأجعلك أحسن
انسان في الاستانه ولما تنام لا تقفل باب غرفتك

فسألته عن السبب فقال

سآتيك في الليل ....

وقبل ان يترك لي مجالا للكلام تركني وخرج
ولكني لم أعمل حسب كلامه بل أقفلت باب غرفتي
ووضعت الخرج ومنضدة كانت بالغرفة خلف الباب لانني
ظننت في الرجل الخيانة ورأيت منه عين الغدر رغما
عن ابتساماته

ولما أصابني من الخوف أخذت افحص كل حائط
في الغرفه وأرضها لئلا يكون الغرفة منفذ باب آخر
وخفت لئلا يكسر الباب فأخذت ابحث في الغرفة
لعلي أقدر على الهروب من منفذ اذا عمد الى ذلك
وكان بالغرفة نافذة تطل على الشارع ففتحت درفتيها

ثم ذبل جفناي وأنا جالس فأتاني الهاتف الذي زارني في دمشق مرتين وهو يبتسم وقال

لا تخف يا فائق ولا تخش بأسا لاني سهران عليك أحرسك حيثما تكون

فبكيت وطلبت منه أن يرجعني الى والدي بدمشق فاجابني

انك تطلب المستحيل فقد انتدبتك العناية لترفع شأن دولتك من حضيض الجهل والشقاء الى أوج السعادة فبقاؤك في الاستانة فيه نفع لوطنك

فستصير عظيما بل أعظم رجل في دوله آل عثمان بعد جلالة السلطان

وبعد فراقي لك سيأتي صاحب الخان ويقرع الباب فلا تفتح له ولا تجبه فيتوعدك ويتهددك ثم يتركك لئلا يستيقظ النازلون بالخان

وابق في غرفتك حتى بزوغ الفجر فافتح النافذة واقفز منها الى الخارج واسرع في مسيرك حتى تبتعد عن الخان فالله بعد ذلك يلهمك الى ماتفعله

وقبل أن أعيد عليه سؤالي اختفى ففتحت عيني

فوجدت نفسي في الغرفة بمفردى فقمت الى الباب

فوجدته مغلق كما كان ثم سراج الغرفة يضيء

وسمعت حينذاك وقع أقدام تقترب من الغرفة

ثم رأيت الباب يهتز وصاحب الخان يقول

افتح يافائق

فلم أجبه فاستشاط غضبا وقال

ستری ماذا أفعل بك غداً ان لم تفتح الباب ..

أذيقك من العذاب ألوانا

وكنت أسمع تهديده ووعيده مدة نصف ساعة

وانا ساكت صامت لا أفوه بكلمة

ولما لم يجد له فائدة من ذلك تركني وهو يحرق

أسنانه من الغيظ

وما كاد الخانتى « صاحب الخان » يبتعد عن

الغرفة حتى ساورتني الافكار

فأخذت افكر في الهاتف الذي اتبعنى من دمشق

الى الاستانة ومن هو وهل هو روح ام انسان مثلي

وتطلعت الى الشارع لاقيس المسافة بين النافذة والشارع فوجدت انه يمكنني الهروب منها بسهوله

فجلست على مقعد واخذت الافكار تهاجمني . . .

لماذا تركني احمد . . . لماذا هرب . . . مني . . . لماذا أطلع صاحب الخان على أسرارنا

وظننت ان لربما صاحب الخان لما علم بما معنا من النقود ارسل في أثر احمد من قتله وسلب منه النقود

ولما خطر على بالي هذا الخاطر انشعر جسمي وصممت على ان اذهب في الصباح الى الضابطه واعلمها بغياب صديقي احمد ثم بما خطر على بالي من خيانة صاحب الخان

ولكن خطر لي أنه لربما يكون جميع اهالي الاستانة خونة فأكون قد هربت من الذئب ووقعت بين مخالب الاسد

واخيرا عولت على ان ابحث عن صاحبي في الصباح واذا وجدته اطلب منه ان يرجعني الى دمشق والا فاذهب الى شاطيء البحر والقي بنفسي فيه

واخذت اكلم نفسي

هل حقيقة ماقاله لي سأصير أعظم رجل في دولة آل عثمان بمدوفات جلالة السلطان... هل حقا انه يحرسي

من هو هذا الهاتف الذى يعلم بالغيب ..... من هو هدا حتى يتنبأ بالمستقبل

يقول لي اني سأصير أعظم رجل ..... في الاستانة ... في دولة آل عثمان وليس عندى رغيف من الخبز اقتات به ولا من اطاب معونته . . وممن اطلب المساعده وبنو الانسان خائنون

فهل اثق باقوال الهاتف واتبع ماقاله لي أو أ ير حسب هوى النفس وأتخلص مما انا فيه بان القى بنفسي في البحر ... ثم الخلاص من هذا العالم الشرير أوفق

ولكن الهاتف قال لي ان وجودى سه وم شأن دولتى وفي حياتى نفع لوطنى اذن فلا أعيش لنفسي بل للوطن ... فساحيا اذن

وعند بزوغ الفجر سأقفز من النافذة واخرج الى الخارج وكما قال الهاتف الله يلهمني الى مافيه الصواب

فاليه سلمت اموري

وبينما انا في تصوراتي سمعت نقرا على الباب فانتبهت لنفسي فسمعت الخائن يقول

افتح الباب يافائق وإلا اكسره وادخل عليك وأهينك لانك سخرت بي وضحكت علي

فقلت في نفسي - ارجع فأعوذ بالله من شر هذا الفاسق ولما لم أجبه أخذ يحتال على الباب ليفتحه دون ان يسمع الساكنون في الغرف المجاورة لي

ثم تلطف قليلا في كلامه وقال

افتح ياعزيزي فائق وأنا أقوم بوعدي معك واجعلك أحسن انسان في الاستانه

ولما لم يفده ذلك ابتعد عن الغرفة وهو يتوعدني ويتهددني بكل شر

وكنت مستعدا للهروب وواقفا بجانب النافذة حتى اذا كسر الباب اقفز الى الخارج قبل ان يتمكن من الدخول

ولكن لما تأكدت انه ابتعد عن الغرفة أخذت

صرة الملابس ولبست ثيابي وبعد برهة سمعت
المؤذن يؤذن فتأكدت ان الفجر لاح وانه قد حان لي
ان اخرج من الخان وأتخلص من شر صاحبه

ففتحت النافذة وطللت منها فرأيت الشارع مقفراً
فقفزت الى الخارج واسرعت في مسيري بقدم ثابت
لئلا يلحظ احد المارة ارتباكي فيظنني لصا

ولما ابتعدت عن الخان تنفست الصعداء وسرت
مع الذاهبين الى المساجد للصلاة

فدخلت مسجداً عظيما جميلا وصليت فيه وطلبت
من الله ان يكون عوني ويلهمني الى ما فيه الخير

وبقيت في المسجد حتى اعتلت الشمس قبة الفلك
وغصت شوارع الاستانه بالذاهبين الى اعمالهم فخرجت
اجول في الشوارع عساي أجد احمد

وبقيت كذلك حتى الظهر فوجدت نفسي امام
ساحة كبيرة على جانبيها عدة محلات كبيرة لبيع الرقيق
من جواري بيض وسود ومماليك وعبيد

ورأيت الناس مجتمعين في الساحة حول الدلالين

الذين ينادون بالبيع لمن يشتري

فتأكدت اني في سوق الرقيق فوقفت اتفرج وخطر وقتئذ على بالي فكر

وهو ان أسلم نفسي الى احد الدلالين واطلب منه ان يبيعني ويعطيني نصف الثمن فأتخلص من الجوع ويبقى معي نقود فأتمكن من أن أخبر والدي بوجودي هنا فيأتي ويخلصني مما انا فيه واكون قد حفظت نفسي من الغادرين الخائنين

وانا كذلك واذا بالهاتف واقف امامي وقال لي رأيك في محله فلا تتوقف

فاردت ان اكلمه فاختفى عن عيني

فصممت على بيع نفسي فتقدمت من احد الدلالين وطلبت منه ان يضعني مع المماليك للبيع واطلعته على مرغوبي

فاجابني الى طلبي بسرور وامسك بيدي وقال اذا سألك أحد عن وطنك فاخبره انك من بلاد الكرج ثم سار بي حتى اوقفني امام قاعة كبيرة وعلى

بابها شيخ ذو هيبة لابس ثيابا فاخرة على اطراف اكمامها وصدرها شرائط من الذهب وحوله الخدم والعبيد وقوف باحترام

فقال الدلال للشيخ بعد ان قبل ذيل ملابسه اني توفقت الى مرغوبكم

ثم قدمني الى الشيخ فقبلت ذيل ملابسه كما فعل الدلال فنظر الي الشيخ طويلا وانا لا اقدر ان ارفع نظري اليه لما له من الهيبة والجلال ثم قال الى احد العبيد الواقفين امامه

ادخله الى هذه الغرفة وافحصه

فتقدم مني وامسك بيدي وسار بي الى الغرفة التي أشار له الشيخ عنها واقفل بابها وأمرني ان انزع عني ثيابي فانذعرت وجزعت وترددت فلحظ ذلك العبد وقال لا تخف فانا أغا للحريم انزع ثيابك لاني اريد ان افحصك لاري اذا كنت سليم الجسم

فنزعت عني ملابسي فأخذ الاغا يفحصني ثم امرني ان البس ملابسي وخرج بي الى حيث الشيخ واخبره

بأني سليم الجسم

ثم تكلما بلغة لم افهمها والتفت الي الشيخ وابتسم كانه يطمئنى ويزيل مابي من الجزع

والتفت الى الدلال وسأله عن ثمنى فأجابه

عشرون كيسا خلاف اجرة الدلالة

والتفت الي الشيخ وامرني ان اقف بجانبه فوقفت وانا مكتف ثم امر الدلال بان يدعو اليه الصراف

فذهب الدلال وبعد برهة رجع وبصحبته الصراف فامره الشيخ بان يدفع له عشرين كيسا مع اجرة الدلال

وبعد برهة رجع الدلال وبيده صرة صغيرة فتقدم وسلمنى اياها وقال

هده ملابسك

ثم غمزني بطرف اعينه فتقدمت واستلمت الصرة وكانت ثقيله ولم اعرف ما فيها فوضعتها على مقعد خلفي ووقفت بجانب الشيخ

واشتري الشيخ جملة مماليك وامر الصراف

بدمع ثمنهم وكان أغلا ثمن دفعة ثلاثة اكياس

وكان الشيخ يساوم الدلال في كل مملوك الا في

فلم يساومه فاندهشت وسألت نفسي عن السبب

ثم خطر على بالي انه لربما يكون الشيخ هو ذلك

الهاتف الذي ظهر لي مراراً

وأردت ان ارفع نظري اليه لاتأكده ولكن غلبت

على هيبته

ولما اتم الشيخ عمله التفت الي وقال

ما اسمك

قلت ـ فائق

فابتسم لي وامرني أن اتبعه ثم سار امامي وأنا

وراءه وتقدم مني الاغا وقال

اعطني الصرة فأحملها لك

فسلمته اياها فاخذها وسلمها الى احد اتباعه الذين

كانوا سائرين في أثرنا

وبعد ان قطعنا مسافة وصلنا الى شاطئ البسفور

وكان قاربان جميلان بانتظار الشيخ

فنزلنا في أحدهما وكان أجمل من الآخر واجلسني الشيخ عن يمينه وجلس الاغا عن يساره وسار بنا القارب يشق البحر بسرعة البرق بعد ان رفع العلم العثماني

وبعد نصف ساعة رسي على الشاطيء بقرب درج من الرخام المرمر يؤدى الى باب سور عظيم يمتد الى مسافة طويله

فصعدنا على الدرج حتي وصلنا الي الباب فاذا به يحرسه أربعة من العسكر الشاهاني شاهرين السلاح فلما رأوا الشيخ قدموا له التحية باحترام وتنحوا عن الباب فدخلنا منه الي حديقة غناء واسعة كبيرة تحتوي على ورود ورياحين تنتعش منها الافئدة

وما زلنا نسير في الحديقة حتى وصلنا الي قصر جميل لم تر عيني أجمل من سائه ومن بديع زخرفته مبني من حجر المرمر المنقوش بماء الذهب

ولما اقتربنا من الباب رأيت قبة من حجر المرمر أيضا قائمة على أربعة قوائم من الرخام المنقوشة طولا بخطوط رفيعة من الذهب

فدخلنا من الباب المحلي دائره بالذهب والمرسوم في وسطه تاج يلمع عند انعكاس اشعة الشمس عليه فيدهش البصر . ووقف عدة حراس المزينة صدورهم بوسامات تضيء كالكواكب احتراما للشيخ

فسرنا في فناء القصر الجميل المرصوفه أرضه بالفسيفساء وكانت جدرانه مزينة بالنقوشات الذهبية الجميله وكنا نمر ونحن سائرون ببعض من الضباط المزينة صدورهم بالوسامات واقفين بغاية الابهه فيؤدون التحية للشيخ

وبعد ان قطعنا الفناء صعدنا على سلم جميع درجاته مزخرفة الى الطبقة الثانية من القصر وسرنا بممشي على جانبيه الغرف الموشحة أبوابها بالذهب بما يدهش ويحير العقول حتي وقف بنا الشيخ على باب غرفة مرسوم عليه بالذهب نهر يمر بين صفين من الاشجار بما يدهش الابصار فامر الشيخ بفتحه ففتح

فدخلنا الي غرفة ومنها الي أخري مفروشة أرضها بالسجاجيد الثمينة وعلى جانبين منها مقعدين مفروشين

بالحرير المطرز بالذهب وبصدرها سرير من النحاس الاصفر مفروشاته من الحرير الابيض النقى وبوسط الغرفة منضدة من الخشب الجميل منقوشا نقشا بديعا ولنوافذ الغرفة ستائر حريرية مطرزة بخيطان من الذهب وتكاد تصل الي الارض وبينما انا تائه بنظري في مفروشات تلك الغرفة المدهشة للابصار قبض الشيخ على يدى وقال

هذه غرفتك ياولدي وهذا فراشك واذا أردت الاغتسال فادخل من هذه الغرفة الى الحمام

ثم التفت الى الاغا وكلمه بلغة غريبة لم افهمها وتركني مع الاغا وخرج

فجلس الاغا على احد المقعدين وامرنى بالجلوس فجلست وانا اقول في نفسي

هل أنا في يقظة أم في منام . وأين انا ومن هو الذي اشترانى ووضعني في هذه الغرفة التى لاتصلح الا للملوك اصحاب التيجان

فقال لي الاغا — هل انت مسرور يافائق

وادهشني السرور فلم اع الى سؤاله بل اخذت اقيس حالتي التي كنت فيها داخل الخان وما وصلت اليه فدمعت عيناى بدموع الفرح وارتبط لساني عن الجواب

فسألني الاغا قائلا

لماذا تبكى يافائق فاجبته

لست ابكى ولكنى اذرف دموع السرور

فابتسم وقال — نعم يلزمك ان تكون مسروراً لان الله اراد لك ان تكون . . .

ثم قطع كلامه فجأة وتوقف عن اتمامه وظهر لى من ملامح وجهه انه كان مزمعا ان يبوح لى بشيء ولكنه خشي العاقبة من اباحته به دفعة واحدة

وقال لى بعد هنيهة

لا بد انك في احتياج الى الطعام فهيا بنا الى المائدة

ثم خرجنا الى الغرفة الخارجية فقرع الاغا جرسا فدخل علينا احد الخدم فامره ان يحضر لنا الطعام

وبعد برهة دخل علينا الطاهي ووراءه خادمين

يحملان طبقين فوضعهما على المائدة بعد ان فرشه الطاهي بغطاء من الحرير

فجلس الاغا وامرني أن اجلس بجانبه وأخذ الطاهى يقدم لنا المأكولات اللذيذة حتي اكتفينا فقال لي الاغا ـ قم وادخل غرفتك وخذ لك غفوة وعند العصر ايقظك

وتركني وخرج فدخلت غرفتي وجلست على مقعد ولكثرة تراكم الافكار مال رأسي واستغرقت في النوم

فتراءآي لى الهاتف داخلا علي من باب الغرفة يكلل وجهه الهيبة والجلال وهو يبتسم وتقدم وجلس بجانبي واخذ يدي بين يديه وقال

ها قد صرت من حاشية جلالة السلطان محمود وسيطلبك جلالته للمثول بين يديه بعد ساعة فكن شجاعا واجبه عن كلما يسألك

واذا سألك عن اصلك وموطنك فاذكر له اسمك وانك كرجي الاصل وبعت الي من ربّاك

ولا بد ان يسالك عن سيدك فقل انه قائد بك احد تجار دمشق وظهر عند وفاته انه كان فقيرا فباعتك عائلته الى احد النخاسين « تاجر الرقيق » فاتي بك الى الاستانة وباعكه

واحذر من ان تنطق غير ذلك لئلا تندم ...

ثم ترك يدي وخرج من الباب فاستيقظت وفتحت عيني فوجدت نفسي بمفردي في الغرفة والباب مقفل

فاخذت اسأل نفسي . من هو هذا الهاتف الذي يتبعني كظلي سوى في اليقظة أو في المنام

وهل انا حقيقة من حاشية جلالة السلطان وداخل سرايه .. كلا كلا . لماذا اذن كل هذا الاعتبار ... لماذا كان الشيخ والاغا يكرماني ... ومن انا حتى ان جلالة السلطان يامر بمثولي بين يديه

وارتبكت افكاري واخذت ابكي وانا لا اعرف اذا كنت ابكي سرورا لوجودي في سراى جلالة السلطان أم حزنا لبعدي عن والدي

وبينما انا كذلك طرق الباب فانتبهت لنفسي

ومسحت دموعي وقمت وفتحته فدخل الاغا وهو يبتسم وقال

اظنك لا تزال نعسانا

قلت ـ كلا

قال بعد ان جلس وجلست بجانبه

هل تعلم اين انت

قلت ـ كلا

قال ـ انت في سراي سيدك ومولاك جلالة السلطان محمود وهو يطلب مثولك بين يدي جلالته

فكن مستعداً لتذهب برفقتي

ثم قرع الاغا الجرس فدخل الخادم فامره الاغا أن يأتي بصرة كان قد وضعها باحدى الغرف

فلبي الخادم الامر واتى بالصرة وخرج فاغلق الاغا الباب وامرني بأن انزع ما علي من الملابس فنزعتها فألبسني قميصا من الحرير الابيض المطرز بالذهب

وكان على كتفي الايمن وشم بما يسمونه «شهوة»

فنظره الاغا وقال لي مشيراً اليه

ما هذا يافائق

قلت هذة «شهوة» لان والدتي لما حملتني في احشائها نظرت بيد احد الاطفال المارين في الشارع تفاحة فاشتهتها وحكت كتفها الايمن

فلما وضعتني وجدت شكل تفاحة على كتفي الايمن

قال ـ هل اخبرك أحد بما يتأتى لصاحب هذه العلامة

فقلت ـ وقد ارتعبت ـ كلا

فلاحظ خوفي فقال

لماذا أراك ترتعش ولما تغيرت من كلامي فاعلم ان كل من له هذه العلامة يصير عظيما بل اعظم رجل بدولة آل عثمان بعد جلاله السلطان لانها لا توجد الا على أكتاف الملوك

... ألا يسرك ذلك

ثم أخذ يلبسي ثيابا فاخرة موشاة بالذهب لم تر عيني أجمل وأحسن منها ولما أكملت لبس الثياب خرج بي الى خارج الغرفه ونزلنا الي فناء مزخرف ومشيا حتى

وقفنا امام باب موشي بالذهب يحرسه أربعة من الضباط وملابسهم كملابسي وبايديهم السيوف مرصعة قبضاتها بالحجارة الكريمة

فقدموا لنا التحية وتنحوا عن الباب فدخلنا الى فناء متسع مفروش بانخر الطنافس وجدرانه مزينة بالنقوشات الذهبية

وفي وسطه قبة زرقاء تشابه السماء مرسومة بها الكواكب والبدر يسطع كانه في ليلة الاربعة عشر بمهارة عجيبة حتي يظن الداخل الى هذا المكان انها طبيعية

فانبهرت من هذه المناظر المدهشة للناظرين فلحظ الاغا ذلك وابتسم كانه يشجعني

ثم نظرت عدة من المماليك يكادون يشابهون حور الجنان بجمال يفتن الالباب لابسين تيجانا من الذهب مرصعة بالجواهر والحجارة الكريمة وبايديهم السيوف مسلولة واقفين شطرين على باب غرفته

ومما اصابني من الانذهال ظنتهم صورا او رسومات صنعوا لتزيين السراي فلما تقدمنا من الباب

حيونا برفع السيوف واحناء الرؤوس

فدخلنا الى غرفة اكثر زخرفة من جميع الغرف والحلات التي مررنا بها فعلى جدرانها آيات قرآنية مكتوبة بالذهب ثم تكتنف كل آية اشجار من الذهب ايضا

هذا خلاف المقوشات الموشاة جميعها بالذهب والمقاعد المحشوة بالرياش والثريات الذهبية المعلقة بسقف الغرفة والمرآة المعلقة بالحائط وما على منضدين من الاواني الذهبية التي تحمل ازهارا صناعيه من الذهب مما يسحر العقول

والحق اقول اني ظننت نفسي في جنة الفردوس وبينما أتيه بنظرى في تلك المناظر البديعة التي تدهش العقول نبهني الاغا وقال

أراك شارد الفكر يافائق

قلت ـ لقد انبهرت ياسيدي مما رأيت

قال ـ تشدد يافائق وهدىء روعك لانك ستمثل لدي جلالة السلطان فكن شجاعا لتجاوب عما يلقيه

جلالته عليك من الاسئلة

ويجب عند مثولك لدي جلالته ان تقبل ذيل ثوبه كما أفعل أنا وتنتظر أسئلته لتجاوب عنها دون أن ترتبك

وما كاد الاغا يتم كلامه حتى دخل علينا أربعة رجال أشداء يظهر من ملابسهم الموشحة بالذهب انهم من رجال الحرس وحيونا وأشهروا سيوفهم ووقفوا امام باب بصدر الغرفة التي نحن فيها

فقام الاغا وقال لى

ابق كما أنت

ثم تركني وقصد الغرفة التي يحرسها الاربعة من رجال الحرس ورفع الستار عن الباب واختفى عن نظري

وشعرت بخوف لانفرادي وصرت أنظر لذلك الباب الذي دخل منه الاغا منتظرا بفروغ صبر رجوعه

وأنا كذلك واذا بصوت عظيم يقول (بادي شاه مز شوك يشا) أي (فليحي سلطاننا) ثم رأيت الاربعة الحراس ردوا التحية بسيوفهم وصاحوا (بادى شاه مز

شوك يشا) ثم سمعت أصواتا أخري من الخارج صاحت ثلاث مرات بشدة (بادى شاه مزشوك يشا)

ثم ساد السكوت فخشعت وأصابتني الرهبه لما رأيت وما سمعت مما لم أتعود رؤياه وسماعه

وبعد برهة خرج الاغا وهو يبتسم وتقدم مني وقال

ماأسعدك لقد نلت الشرف الاعظم فاستعد لتمثل بين يدي مولانا جلالة السلطان فقم واتبعني

وسار الاغا أمامي فتبعته وقلبي يخفق خفقانا شديدا وجسمي يرتجف وينتفض من الرهبة وغشت عيناي غمامة من الخوف فرمتهما لاعري الاغا وكان امامي فلم انظره لما أصابني في ذلك الموقف الرهيب من الرعب والخوف فوقع بصري على بريق يدهش الابصار ويحير الافكار

ثم اخذت الغمامة تنقشع عن عيني رويدا رويدا واذا بذلك اللمعان عرش من الذهب يخطف النظر بلمعانه مرصع بالجواهر الثمينة

وعلى ذلك العرش من خضعت له الشعوب ومالت اليه القلوب من حكم العباد بالرحمة وتسلط على أفئدتهم بالرأفة من امتلك الرقاب بحسن درايته وتألفت القلوب بحكمته مولاي جـلالة السلطان محمود حفظه الله وأيد سلطته

فحولت نظري الى الارض وتبعت الاغا الي الامام فرأيته جثي وقبل ثوب جلالته ووقف ففعلت مثله

وأخـذت ارمق جـلالة السلطان بطرف عيني فرأيته ينظر الى ويبتسم ثم قال لى

ما اسمك يافتى

فاجبته وصوتى يرتجف

عبد جلالتكم فائق

فلاحظ جلالته خوفي فضحك والتفت الى الاغا وقال له

أرني تلك العلامة التي أخبرتني عنها

فاقترب الاغا مني وحل أزرار ثوبي وقميصي وكشف عن كتفي اليمين وقال

ها هي يا مولاي

ونزل جلالته من على العرش وتقدم مني وأخذ ينظر لتلك العلامة التي على كتفي

ثم وضع يده الشريفة عليها وقال

هي بذاتها

ثم رجع الى العرش وقال للاغا

كفى غط كتفه

فزرر الاغا الثياب فأمره جلالته بان يدعو واصف باشا . . . فلبى الاغا الامر وخرج الى باب الغرفة وامر أحد الحرس الاربع ان يدعو واصف باشا ...

وبعد عشرين دقيقة دخل الغرفة شاب لا يتجاوز الثلاثين عاما بثياب سود فتقدم وسجد وقبل ذيل ثوب جلالة السلطان

فامره بالوقوف فوقف بجانبي فقال له جلالته

خذ يا واصف فائق ودربه على الاعمال التي ساصدر أمري اليك بها وقدم لي تقريرا عن كلما يعرفه بعد امتحانه

ثم التفت الى الاغا وقال

وأنت ياشريف أغا يجب عليك بأن تسهر على فائق وتحفظ عليه واحذر من أن يصاب بضرر

ثم أمرنا بالخروج فرجعنا القهقرى حتى وصلنا الى الباب فسمعنا صوتا يقول

« پادى شاهميز شوك يشا » فرددنا ذلك ثلاثا وخرجنا من الباب

فامسك واصف باشا بيدى وادخلني غرفة كبيرة داخلها عدة غرف ملآى بالرجال الكتبه جالس كل امام مكتبة فالبعض يقرأ والبعض يكتب فتأكدت اني داخل المابين

وكان في صدر الغرفة باب يؤدي الى غرفة اخرى يحرسه عسكريان من الحرس الشهانى فدخلنا منه الى غرفة فحيانا الحارسان التحية العسكرية

وكانت هذه الغرفة مزينة بالنقوشات ومفروشة بافخر الرياش وبها مقاعد للجلوس فدخلنا منها الى

غرفة بها اربعة من الكتاب جالس كل على مكتبة
خصوصيه وياورين جالسين على مقعد بجانب الباب
واذ دخلنا وقف كل من في الغرفة واحنوا رؤوسهم
باحترام
فمررنا بهم ودخلنا غرفة بديعة جدرانها منقوشة بالذهب
وفراشها من الرياش الثمين ومفروشة ارضها بالابسطة
والطنافس العجيبة شغل الاعجام
وبها مكتبتين من خشب الجوز مزخرفتين
وكل ماعليها من ادوات الكتابة وغيرها من الذهب
الخالص
فجلس امام احدي المكتبتين وامرني ان اجلس
على كرسي بجانبه ولكني خجلت
فلحظ ذلك فابتسم وقال
لابأس من اعتباري الآن اجلس ياعزيزي
ثم امسكني من يدي واجلسني وامر باحضار
المرطبات لانه ظنني خائفا وناولني كاسين وشرب

مثلهما ثم قال لي بلطف

لقد نلت الشرف اليوم بمثولي لدي جلالة السلطان الذى اناط بي تدريبكم على الكتابة بنفسي ولا شك سأنال مكافأة عظيمة من جلالته بعد امتحانكم

فاطرقت خجلا وانعقد لساني عن شكره فضحك وقال

تعلم من الآن ان تكون جسوراً شجاعاً وارفع عنك الحياء واعتبرنى من الآن كوالدك أو اخيك اذا شئت

فشكرته على لطفه فقال لي

هل تكتب وتقرا

قلت - نعم

قال - اكتب ما أمليه عليك

وقدم لي ورقة فأخذت أكتب ما يمليه علي

قال - اكتب

بعد لثم موطيء قدمي جلالتكم وتضرعي الى من كون الكون جل جلاله بحق نبيه الكريم ان يحميكم

بحمايته قد تجاسرت أنا عبد جلالتكم المطيع بتقديم عريضتي
هذه شكراً على ما غمرتموني به من نعمكم وجعلتموني
من عبيد جلالتكم وما عاملتموني به من الشفقة والحنان
واسبغتم على خيرات لا يحصيها بنان فاقسم لجلالتكم اني
سأكون عبدكم المطيع ولكل ما تأمروني به سميع وأحامي
عن عرش جلالتكم واعضد سلطتكم وأقاوم من يقاومكم
واكون عدواً لمن يعاندكم فثق يامولاي باخلاصي فاني
عبدكم المخلص

فلما أتممت كتابة ما أملاه علي اخذ الورقه من
يدي وتلاها وقال لي

انك تكتب جيداً وخطك جميل وأين تعلمت ومن
كان معلمك

قلت ـ تعلمت بدمشق ومعلمي مسيحي يدعي
الخواجا الطفي وكان وكيلا لسيدي سابقا

قال ـ هل تعرف غير اللغه التركيه

قلت ـ نعم

قال ـ كم لغة تعرف

قلت ـ أربعا غير التركية

قال ـ وماهي اللغات الاربع التي تعرفها

قلت ـ العربيـة واليونانيـة والافرنسية والروسيـة

قال ـ هل تتكلم بهذه اللغات جيداً

قلت ـ واكتب بها أيضا

فنظر لي نظرة غير مصدق وقال

أحقا ماتقول تعرف تلك اللغات قراءة وكتـابة

قلت ـ نعم ياسيدي وعليك بامتحاني

فقرع جرسا صغـيراً فدخل الخـادم فامره بأن يدعو الباش ترجمان فخرج الخادم وبعد برهـة دخل رجل يبلغ الخمسين عاما تلوح في وجهه النباهة والذكاء فحيانا فامره الباشا بالجلوس فجلس

فاخبره بوصايا جـلالة السلطان عنى وامره بان يمتحني باللغات الاربعة

فاخذ الباش ترجمـان يحـدثني باللغـة الافرنسيـة فأجبته عن كل سؤال بدون ارتباك فكتب بضعةاسطر على ورقة وامرني بترجمتها الى الافرنسية ففعلت فبعـد

ان قرأ ماترجمته التفت الى الباشا وقال عني

انه يعرف اللغة الافرنسيه جيداً

قال الباشا ـ امتحنه باللغة الروسية

اجاب ـ لا اعرف غير الافرنسية

قال ـ ماذا تعمل اذن بالمخابرات والاوراق الرسمية

التي يبعث بها اليك معتمد دولة روسيا

اجاب ـ تأتيني جميعها مترجمة باللغة الافرنسية فأترجمها

الى التركية

قال ـ اذهب وأتني باحدى الاوراق الرسمية التي

اتتكم من معتمد روسيا

فخرج الباش ترجمان برهة وعاد وبيده ورقة

كبيرة في الصحيفة الاولى منها المخابرة باللغة الروسية

وفي الثانية ترجمتها باللغة الافرنسية

فطلب واصف باشا مني ان اترجم المخابرة بالروسية

الى الافرنسية وناولني ورقة فترجمتها

فامر الباش ترجمان ان يقرأ ماترجمته ثم يقابله على

ما بالصحيفة الاخرى من المخابرة

فقال الباش ترجمان بعد ان قرأها وقابلها بالاخرى

ترجمته المخابرة مشابهة تماما لترجمة السفلكوه

الروسية

فامرني واصف باشا ان اترجمها الى اللغة التركية

فترجمتها

ثم طلب مني ان اوقع على العريضة التي أملاني

اياها فوقعت عليها ووضعها امامه مع المخابرة

وفي تلك البرهة دخل علينا شريف اغا وجلس

بجانبي وقال الى واصف باشا

عسي ان تكون سررت من فائق ياسيدي

فاجاب ـ اني لم ار مثله نبيها ذكيا فقد اجاد

في الامتحان

قال ـ ومتى تقدم عنه التقرير الى جلالة السلطان

أجابه ـ سأكتب التقرير الليلة واقدمه غدا

وكانت وقتئذ الساعة السابعة مساء وقد اخذ النهار

في الهروب واتجهت الشمس الى الغروب فاخذ الاغا

يدي واستأذن واصف باشا بالخروج فاذن لنا

فقصدنا الجهة التي تقرر فيها اقامتي وجلسنا على مقعد فقال الاغا

لقد سر جلالة مولانا السلطان اطال الله حياته منك لما مثلت لديه وأمر بمنحك الرتبة الثانية ولقب بك

ثم امرني يافائق بك ان اعتني بك وبراحتك وقد عين لك هذه « الشقة » لاقامتك وخادمين لخدمتك احدهما عبد اسود والاخر مملوك وقد انتقيت لك هذين الخدمين الامينين

وكان يكلمني والاخلاص باد على وجهه فامسكت يده ولثمتها فضحك وسحب يده بلطف وقرع الجرس

فدخل خدمان احدهما عبد اسود والاخر ابيض

فأمرهما الاغا ان يتقدما ويلثما يدي ففعلا رغماً عن تمنعي

والتفت الاغا الى العبد وقال مشيرا الي

هذا هو سيدك الان يافرحات فاخدمه بأخلاص

وكن محبا له غيوراً على مصالحه

وقال الى المملوك :

وانت ياحسن عرفت من هو سيدك فاخدمه بنصح وكن حارساله وكما كنت أحافظ عليك لما كنت صغيرا أطلب منك أن تحافظ على سيدك وتحميه من الطوارق مااستطعت

فاقسما لي ان تقوما بعمل ماتكلمت به وتضحيا حياتكما في الدفاع عنه وعن صالحه

فرفع الخادمان الامينان اعينهما وايديهما واقسما بأن يفدياني بحياتهما

فامرهما شريف اغا بالخروج وان ينبها على الطاهي باحضار الطعام

فخرجا وبقينا نتحدث حتى دخل الطاهي يتبعه اتباعه يحملون اطباق الطعام

وبعد فراغنا من الاكل خرج شريف اغا فبقيت وحدى فاستحوزت علي الافكار فطارت بي الى دمشق حيث والدى

فتخيلت انهما حزينان لفقدي يبكيان لفراق لهما ثم تصورت اني أسير في قصرى وفاطمه بجانبي

تلك التي عاهدتها على الحب .. عاهدتها بان لانفترق

عاهدتها بأن لاأخونها فتركتها ونكثت بوعدي

تصورت انها بجانبي تنظر الي نظرة العتاب والملام

لأني تركتها

خيل لي الوهم اني اراها حزينة والدموع تسيل من عينيها الجميلتين دون ان تفوه بكلمه ورأيت كأن والدي قد فاجأنا واراد ان يمنعنا من الاجتماع ببعضنا فهجم على فاطمة واجتذبها من زراعها فرفعت يدي وأردت ان امنعه فلطمتا منضده كانت بالغرفه فعدت الى وعي وشعرت بالم اللطمة في يدى وكى ابعد عني تلك الاوهام دعوت فرحات اغا وحسين وامرتهما بالجلوس فجلسا

فسألتهما من هو شريف اغا وما منزلته لدى جلالة السلطان فاجابا « هو دادا » مربي جلالة السلطان ومطلع على جميع اسراره وباش اغا الحرم وجلالته يميل اليه ميلا غريبا كما وان شريف اغا يحب جلالته ويضحي حياته امامه

قلت ـ وما وظيفة واصف باشا

اجاب ـ هو باشكاتب جلالته وكاتم اسراره واعظم المقربين لديه

قلت ـ وما اسم الباشترجمان

اجابا ـ صفه لنا

فاعطيتهما اوصافه وملامح وجهه فرزارآسيهما وقالا هذا صادق باشا ترجمان جلالة السلطان ...

ثم نظرا الى بعضهما وقد ظهر عليهما الارتباك فلحظت ذلك وسألتهما عن سبب ارتباكهما وما الذي اوقفهما عن اتمام حديثهما وطلبت منهما ان يخبراني عن كلما يعرفانه عن صادق باشا فاجاب حسين

اعلم ياسيدي ان صادق باشا علاوة عن انه ترجمان جلالة السلطان فهو جاسوس خبيث يشي بالوزراء الى جلالته كذبا ويوقع النفور والشقاق بين رجال الحكومة بهذه السراى

ولولا حلم ورأفة وعدل جلالة مولانا السلطان لاعدم كل من في هذه السراي وجلالته حفظه الله

وايد شـوكته يصغي لوشايته ولكن لايعمل على اذى
احد ولا نعلم اذا كان جلالته يحقق ويؤكدا سرا ماقاله
صادق ام لا

قلت ـ ياللداهية يجب الحذر منه

اجابا ـ احذر منه ياسيدى لئلا يُشي لك كاوشى
بغيرك ـ وكنت في اثناء الامتحان بغرفةواصف باشا
قد رأيت صادق باشا ينظر لي شذرا وقد اصفر وجهه
لما فزت واجبته عن كل سؤال القاه علي

فلما اخبرني الخادمان الامينان بخبثه تأكد لى مما
ظهر وقت الامتحان ان الرجل حاقد علي

فسالتهما من هو الشيخ الذي اشتراني

اجاب ـ هو خرشد باشا رئبس الخـدم الخاص
وجلالة السلطان يحبه حبا عظيما حتى تنازل وصار يناديه
(بابا خرشد)

وهو رجل صالح تقي من الاولياء وممن يحبون
الخير ويميلون الى مساعدة الفقراء والبائسين

ولما اتممت ما أردت معرفته امرتهما بالانصراف

فتقدم فرحات أغا من خزانة كبيرة بقرب فراشي وفتحها واخرج منها صرة فيها ملابس النوم من الحرير الابيض المطرز بالذهب ثم تركاني وخرجا الى الغرفة التاليه وجلسا على مقعد يتحدثان

فتعجبت من عدم خروجهما الى خارج (شقتي) وسألت فرحات عن السبب فأجاب

لقد أمرنا شريف أغا بعدم مفارقة غرفتك مطلقا وان ننام على بابها

قلت — هل حياتي في خطر حتى اضطرر تما الى المبيت على باب غرفتي

قالا — كلا ولكنا لا نقدر على مخالفة أمر شريف أغا

فاقفلت الباب ونزعت عني ملابسي ولبست ملابس النوم وفتحت النافذه المطلة على الحديقة، وأخذت أجيل نظري في الفضاء الواسع وأتطلع الى الكواكب الساطعة بنورها الباهر

ثم التفت بنظرى الى الحديقه ومتعت النظر بمنظر ورودها البديعه وهب النسيم عليها فمالت دلالا

وأرسلت الى معه روائحها الذكية

وخطر على بالي وقتئذ رفيق احمد وكيف غدربي وانا بالخان ثم ما كان من الخانا تي

واستصعبت الوحدة والانفراد في تلك الغرفة مما لم أكن معتادا عليه وصعب على فراق اهلي فهطل دمعي وفضلت بان اكون بين احضان والدتي التي لاشك انها تذرف الدموع مدرارا لاجلي

ثم تذكرت ابنة خالتي فاطمة وما كان بيننا من الحب وماذا يكون حصل لها بعد فراري ... فلمت نفسي لانني اطعت احمد وفررت معه

خطر لي حينذاك ان اعلم شريف اغا بما يجول في فكري واطلب منه المعونة والمساعدة ليوصل اخباري الى والدي فيحتال على اخراجي من هذه السراي التي وان تكن جميلة وانا فيها كامير كانت في عيني في ذلك الوقت سوداء

فارتحت الى هذا الفكر وعزمت على ان اكاشف شريف اغا في الصباح باسراري

وكانت عيني قد ذبلتا وشعرت باحتياجي الى النوم فقمت الى فراشي واستلقيت عليه

وما كدت اغفو حتى رأيت كان قد فتح الباب ودخل الهاتف ومنظره يدهش الالباب من الهيبة وجمال المنظر وتقدم من فراشي وجلس بجانبي واخذ يدي بين يديه وهو يبتسم وقال

انا عالم ياولدي بما يكدرك ففراق والديك وابنة خالتك قد صعب عليك ولكن هذا ما كتبته يد القدر

كتب الاله على الجبين مقدر   مامن مفر منه اومن مهرب

فانا عالم ياولدي بما جال في خاطرك .... انك تريد ان تفشي باسرارك الى شريف اغا ولكن احذر من ذلك لئلا يكون السبب في هلاك والديك وجميع أسرتك

فجميع من بمعية جلالة السلطان يضمرون لك الشر والهلاك غيرة منك لما لقيته من الاكرام من جلالته

فاذا علموا انك لست مملوكا وان والدك من

ذوي الثروة ومن بلاد الفلاخ والبغدان. لاشك انهم يشون بك الي جلالة السلطان اذ يدعون ان والدك من الانكشارية وارسلك بصفة مملوك لتتقرب من جلالته حتى اذا وجدت فرصة مناسبة فتكت به وقتلته

ويؤكدون لجلالته بان جمعية الانكشارية السرية هي الباعث بذلك

فيلتزم جلالة السلطان ان يأمر بالقبض عليك ويبحث سرا اذا كان والدك من الفلاخ والبغدان حتى اذا تأكد ذلك يصدق الواشين فيامر بقتلها وقتل اقربائك ثم يذيقك اشد العذابات لتفشي له سر تلك الجمعية وتخبره عن اعضاءها

ولما انك لاتعلم ياولدي عن الجمعية شيئا فتبقى تحت العذاب حتى تموت اشنع موتة .

فاحذرك من العاقبة فان اطعتني وسرت حسب أوامري تنال مالم يحلم به الامراء ووزراء هـذه الدولة ثم تنال مرغوبك أيضا

قلت — اذن سأرى والدي واتزوج بابنة خالتي

اجاب ـ ستنال من ابنة خالتك ولدا تربيه فتق
بقولي وسر كما اريد

فأردت ان اكرر سؤالي عليه اذ اكنت ارى والدي
ولكنه تركني وخرج من الباب فتبعته لامسك
بثيابه وارجوه ان يبقى معي قليلا ولكني استيقظت اذ
شعرت بان جبهتي التطمت في الباب وفتحت عيني
فوجدت الباب لا يزال مقفلا بالمفتاح وسمعت فرحات
من خارج غرفتي يقول

هل تحتاجني ياسيدي

وخوفا لئلا يعلم مابي سألته نحن في أي وقت من
الليل

اجاب ـ نحن قبل بزوغ الفجر وسيؤذن المؤذن
بعد نصف ساعه ففتحت الباب ووجدت فرحات اغا
ينتظر اوامري فقلت له

اخبرني شريف اغا أمس انه في (شقتي) حمام
فأين هو

اجاب ـ هل تريد الاستحمام

قلت ـ نعم

فأيقظ شريف اغا حسين الذي كان نائما بجانبه على باب غرفتي واخبره برغبتي في الاستحمام

وامسك بيدي وقال

هيا ياسيدي

وادخلني الى غرفة صغيرة جميلة مفروشة بأحسن المفروشات وطلب مني ان انزع ماعلي من الملابس وقدم لي لوازم الحمام وخرج

فدخل حسين معي الى الحمام وبعد ان اغتسلت خرجت الى الغرفة الصغيرة الجميلة فوجدت شريف اغا ينتظرني فيها فابتسم لي حين رآني وخرجنا الى غرفة وجدنا بها طعام الافطار جاهزا

وبعد أن تناولنا الطعام التفت شريف اغا الى حسين الذى كان مرافقا لي كظلي وقال له

كن محافظا على فائق بك ياحسين ورافقه أينما سار حتى الى غرفة واصف باشا أيضاً

فأجابه حسين ــ سأفديه بحياتى

فسألت شريف أغا قائلا

ولماذا كل هذا الحذر هل حياتى في خطر

أجاب وهو يضحك

انك محسود يا فائق بك وقد تولدت الغيره في قلوب جميع من في حاشية جلالة السلطان لما نلته من الاكرام من جلالته

وقد دعاني جلالته اليه امس وحذرنى من ان تصاب بضر وأمرني بان لا أغفل عنك فلذا انتقيت لك هذين الخادمين الامينين الشجاعين ليحافظا عليك ويخدماك

قلت ــ ألا تعرف من الذى يضمر لى الشر

أجاب ــ سأعرفه فيما بعد واحذرك من شره

وكانت الساعة ونتئذ الرابعة عربيه صباحا فامسك بيدى وسار بى الى غرفة واصف باشا

فاستقبلنا الباشا بكل لطف فسأله شريف أغا اذا كان قد أرسل التقرير الى جلالة السلطان

فأجابه ــ كنت منتظرك هذا الصباح لأسلمك

التقرير ولكن بلغني انك عند فائق بك فأرسلت التقرير
مع الماز أغا فذهب به الى جلالة السلطان وعادا لي بعد
مدة قصيرة واخبرني بان جلالته يطلبني للمثول بين يديه

فمثلت لدي جلالته فسألني وهو يبتسم

كيف رأيت فائق

فأجبت جلالته — وجدته ذكيا نبيها مخلصا
للدولة ثم اخبرته انه يعرف اللغات الاربعة الافرنسية
والروسية واليونانية والعربية

فسر جلالته وقال

ضعه في غرفتك الخصوصية حتى أصدر أمري بتعيينه
في احدي الوظائف التي تليق به

والتفت الى واصف باشا وقال

تعال ياعزيزي فائق بك لنتصافح

فمددت يدي فهزها بلطف وقال

اجلس على هذه المكتبة بجانبي وراجع الاوراق
التي فيها وسلمني مفاتيح جرارات المكتبه

فجلست على الكرسي وأخرجت عموم الاورق

وراجعتها فوجدتها جميعها من جلالة السلطان الى الصدارة العظمى

فكتبت ملخصها على ورقة مذكرة وقدمتها لواصف باشا فراجعها وقال

انها وافية بالمطلوب ولكني أريد أن تكتب على كل امر ملاحظة عما يتراءآ يلك حسب الشرع الشريف حتى نعرض ثانيا على جلالة السلطان لاخذ رأيه اذا كان يوجد بها مايخالف الشريعة ... ألم تخبرني امس انك درست الشريعة عند الشيخ الحلبي بدمشق

أجبته ـ نعم ياسيدي

قال ـ لقد سمعت بانه اكبر علماء الشريعه . وما دمت درست العلم عن يده فاكتب مايترا آي لك حسب الشريعة

قلت - ولكني لم اتمم دراستي عنده

قال ـ لا بأس اريد ان اعرف قوة ادراكك

فاخذت اكتب على كل ورقة ماترا آى لي ولما انتهيت سلمته الورقة فوضعها امامه دون ان يطلع عليها

وكانت وقتئذ الساعة السادسة اي الظهر فدخل شريف اغا

ووقفت انا وواصف باشا وخرجنا من الغرفة وشريف اغا صحبتنا فافترق عنا واصف باشا في فناء القصر

وبعد الغذاء قصدت غرفتي فنمت حتى ايقظني الساعة التاسعة عربي بعد الظهر قرع على باب غرفتي

ففتحت الباب فدخل شريف اغا وبيده صرة ففتحها واخرج منها ملابس سوداء كالتي يلبسها واصف باشا وقال

البس هذه لتمثل بين يدي جلالة السلطان

فلبثت الثياب وقصدت مع شريف اغا السلاملك السلطاني الدي كنت دخلته بالامس وتركني فيه ودخل على جلالة السلطان وعاد الي بعد برهة وقال

كن شهما شجاعاً ستمثل بين يدي جلالته واياك ان ترتبك

ثم دخلنا غرفة في صدرها باب عليه ستارة من

الحرير الموشح بالذهب فرفع شريف اغا الستارة فرأيت جلالته جالسا امام منضدة

وركعت ولثمت ذيل ثوبه فامرني بالوقوف وقال لي

اقترب مني يافائق بك

فاقتربت من جلالته فناولني العريضة التي املاني اياها واصف باشا ووقعت عليها

هل انت الذي كتبت هذه

أجبت - نعم يامولاي

قال - كم لغة درست

اجبت - أربعاً

قال - وماهي

أجبت - الافرنسية واليونانية والعربية والروسية هذا علاوة عن التركية

قال - لقد اخبرني واصف باشا بذلك فهل تعرف تلك اللغات جيداً

اجبت - نعم يامولاي

قال ـ أين درستها

أجبت ـ لقد كنت عند سيدى الذى اشترانى بمنزلة ولده فكان يحبني كثيرا وعلمني على يد معلمين ماهرين اللغات الاربع التي ذكرتها لجلالتكم

وخطر على بالي وانا أكلم جلالتـه والدى فهطل الدمع من عيني واختنق صوتى فقال جـلالتـه وقد لحظ مابي

يظهر انك تحب سيدك كثيرا حتى أذرفت الدمع عند تذكرك اياه

أجبته ـ كيف لا أحبه يامولاى وكان يحبني اكثر من أولاده ولولاه لما وصلت الى ماأنا فيه الآن

قال ـ وكيف يافائق بك

أجبت ـ لولم ينتبه سيدي الى تعليمي اللغات لما انزلتني هذه المنزلة وانعمت علي بعالم يحلم به ووراء جلالتك

فبدأ على وجه جلالته التأثر وقال

أين سيدك الآن

أجبت ـ كان سيدي أحـد تجار دمشق ولكنـه

توفي يامولاي

قال ـ يجب عليك ان تذكره وتبكيه ولكن احمد الله لان سيدك الآن هو سيد آل عثمان ويعزك اكثر من سيدك المتوفي

وتأكد يافائق بك انك اذا صرت أمينا ومحبا ومخلصا لي كما كنت لسيدك أرفعك الي أعلا المناصب وأسماها ولا يبقى بيني وبينك غير هذا العرش

فتقدم مني فقد احببتك لانك كنت امينا ومخلصا لسيدك وستكون كذلك الي فقد أنعمت عليك بهذا النيشان الذي أريد أن أزين به صدرك بيدي وبرتبة فريق وعينتك منذ الآن كاتم اسراري وكاتب يدي

فاقتربت من جلالته وأنا كأني في حلم ففتح علبة صغيرة كانت على المنضدة وأخرج منها نيشانا مرصعا وعلقه بيده الكريمة على صدري فانحنيت وقبلت ذيل ثوبه فامرني بالانصراف وهو يبتسم

فصرخت ثلاثا « بادي شاهميز شوك ياشا »

ثم خرجت من لدنه وبرفقتي شريف اغا وقصدنا

غرفة رئيس الديوان وباشكاتب المابين واصف باشا فوقف لنا واصف باشا واذ رأى مازن جلالة السلطان صدري به ابتسم وقال

اهنيك ياعزيزي بما نلته

ومنذ ذلك اليوم اخذ جلالته يطلبني للمثول بين يديه بغرفته الخصوصية ويطلعني على آرائه السرية

وكان يظهر لي من مضمون حديثه انه متواضع ومحب لرعاياه يعمل على مافيه راحتها

وكان لباسه بسيطا ويجلس أكثر الاوقات الا في الرسميات في غرفة خصوصية بسيطة على كرسي بسيط ويكتب بيده اكثر المذكرات التي يرغب حفظها بجارور مكتبته

وكان من رأفته عندما يطلع على الاوراق التي تعرض عليه لاعدام بعض المجرمين تسيل دموعه ويوقع عليها رغما عن ارادته

وكان اذا شقت احد الآلايات عصي الطاعة واظهرت العصيان وتمردت وبلغه الامر يتكدر ويقول

سامحهم الله فقد قتلوا نفوسا بريئة

ثم يصدر أمره بمعاملة المتمردين بالرحمة والرأفة واذا لم تأت بجدوي أصدر أمرا آخر الى احد الآلايات الاخري لترد المتمردين الي الطاعة

ومن رأفته النادرة انه لما عصى على جلالته علي باشا في اقليم انيروس وما جاوره وتمرد تمردا فظيعا ارسل جلالته يدعوه للحضور الى الاستانة عارضا عليه اسمي المناصب صافحا عن تمرده

ولكن علي باشا رفض وجاهر بالعصيان فبلغ ذلك الصدارة العظمى وقررت بارسال جيشا جرارا تحت أمرة وقيادة خرشد باشا وطلبت من جلالة السلطان المصادقة على قرارها فتردد فتجاسرت لمالى عنده من المنزلة والمحبه وسألته قائلا

لماذا لاتصادق يامولاي علي قرار الصدارة

فأجابني ببساطة ولوائح الكدر ظاهرة عليه

كيف تريد يافائق أن أصادق على هلاك أعظم القواد حنكة وأكبر المخلصين لدولتنا

قلت - كيف يامولاى يكون مخلصا لجلالتكم والدوله ويجاهر بالعصيان

أجاب - لابد ان بعض المفسدين الذين يكرهونه وجود من كان مثله ماهرا مخلصا له ولتناعلى قيدالحياه رشوه بالمال وأطمعوه اذا جاهر بالعصيان ان يساعدوه ليكون حاكما مطلقا على ولايات الارنؤوط فأطاعهم وهو لا يعلم انهم يضمرون له ولدولتنا الشر فكيف تريدني أن أصادق على هلاك رحل عظيم مخلص لي

قلت - ومن الدي تجاسر يامولاي وأفسد هذا الرجل ... من هو

أجاب - ألست تعلم حتى الآن من هم أعداء دولتنا الذين لايطيقون ان ترتبط عرى المحبة والاتحاد بين رعايانا الامناء حتي اذا تمكنوا من وضع الشقاق بينهم أغاروا على اراضي دولتناوامتلكوها بدون منازع ومقاوم

قلت - ومن هم يامولاى أعداء الدولة الذين يريدون

هلاكها

أجاب ـ عموم دول أوروبا يافائق

قلت ـ ولكن اكثر دولها يظهرون لنا المحبة يامولاي . . .

فضحك جلالته ضحكة اعتصابية وقال مكملا كلامي ويضمرون لنا الشر . . . ان اكثر من يزورنا من ملوك الافرنج اعداء لنا

لاتراعي ابتساماتهم فانما هي السم . . . يضحكون لنا وانما يضحكون علينا لما يحصل بيننا من التنافر ولكن لنا بين تلك الدول صديقة واحدة

قلت ـ ومن هي يامولاي

قال ـ مارأيك في دولة روسيا

قلت ـ كرأى رجال الدولة انها عدوتنا

قال ـ كلا . كلا يافائق فهي الصديقة الوحيدة لنا هي الراغبة في مساعدتنا وان تكون عونا لنا في كل شدة

ولكن الدول الاخرى واخصها دولتي فرنسا وانكلترة يبغضاننا وهما السبب في النفور بيننا وبين

روسيا خوفا لئـلا تتحـد معها فيضيع عليهما نفوذهما ويخسران مايحلمان به من اقتسام بلادنا

فهل تعلم ماذا يفعلان سراً

قلت ـ كلا يامولاي

قال ـ تخابر الدولتان قناصلها ومندوبيها في هذه البلاد سرا ليبذلوا جهدهم في زرع بذور الشقاق والعداوة بين الاهالي ورجال الدولة ويلقوا النفور بين المسيحيين والمسلمين

قلت ـ وكيف يلقون النفور بين المسيحيين والمسلمين

اجاب ـ يدسون الى المسلمين ان دولة روسيا تعاون المسيحيين ليكون لهم النفوذ المطلق والسيادة على المسلمين

قلت ـ هل هكذا يفعلون يامولاي

قال ـ ياليتهم يقتصرون على ذلك بل يحركون أيضا طائفة الانكشارية على ذبح رعايانا المسيحيين ولما يتأكدون وقوع النفور والشقاق بين المسيحيين

والمسلمين يلقون فتيلهم فتشتعل نار المذابح وتمد لهيبها

وحينئذ يقومون ويقعدون ويهولون الامور

ويلقون تبعة كل مايحدث علي ويطالبون من دولة

روسيا بصفتها حامية للمسحيين أن تقتص من المسلمين

ورؤساء الدين المسيحي يعضدونهم

ونظرا لما انطوت عليه قلوب اهالي روسيا من

البساطة تنطلي عليهم خبث نية دولتي فرنسا وانكلتره

فيقومون بلسان وقلب وصوت واحد يطلبون من

ملكهم وأمبراطورهم انقاذ اخوانهم المسيحيين في بلادنا

من الظلم

فتقم حيئنذ بين دولتنا ودولة الروس الحروب

الهائلة حتى يكاد يفني أحدنا الآخر

وعندما ماريان أن احدنا سيفوز على الآخر

يتداخلان بالصلح بيننا رضينا ام لم نرض ويوقفانا عند

حدنا فنكون قد افنينا الرجال وخسرنا الاموال دون

جدوي

لا ينفكون عن القاء بذور الشقاق وايقاع الحروب

بيننا وبين الروسيه لنبقى دائما في ضعف حتي اذا ارادتا احتلال بلادنا واقتسامها لاتجدان من يقاومها

قلت — ولماذا يامولاي لاتوقف القناصل عند حدهم وتقصر يدهم عن تلك الاعمال وتتحد مع دولة روسيا اذا كان الاتحاد معها يفيد الدولة

اجاب — يستحيل ايقاف القناصل والمعتمدين السياسيين نظرا الى الامتيازات التي نالتها دولهما من أجدادنا سامحهم الله

وأما منع تلك المذابح والثورات لايتم الا اذا كان لنا جيش منظم يقوده رجال امناء خالون من الغايات بحيث لايكون لطائفة الانكشاريه المتمردة فيه دخل التي لاتصدع لامر بل تعمل وتسير حسب مايخطر على بالها

وهل تريدني ان اصادق على هلاك رجل امين مخلص لى غيور على صالح الدولة كعلى باشا لمجرد هفوة بسيطة مع ان اكثر وزرائي خائنون . المخلصون لي لايعدون على الاصابع فكيف أتمكن من الاتحاد مع

دولة روسيا

ولكني اطلب المعونة من المولى كي يعينني على عمل ما منه خير لرعيتي حتى لا افارق هذا العالم الا ورعيتي متمتعة بتمام الراحة

وسكت جلالته برهة ثم عاد فقال

لقد اطلعتك يافائق على افكاري وآرائي وذلك لانني وثقت بك

وقد عزمت على ان اعهد اليك بأمر مهم فهل تقوم به

قلت ـ وما هو يامولاى

قال ـ عزمت على ان اعهد اليك تربية ولدى عبد المجيد وتعليمه وتهذيبه

فازرع فيه المحبة لرعية الدولة مسلمين كانوا أو مسيحيين والشهامة ليفكر في مستقبل الدولة ازرع في قلبه العداوة للدول الاوروبية وافهمه افكارى التى اطلعتك عليها

علمه الدهاء السياسي حتى يتلاعب بقناصل الدول ومعتمديها ويصم اذنيه عن وشاياتها

أطلعه على اسراري جميعها . قل له ان الدولة لا تنتظم ولا يرتفع شأنها الا بابادة الانكشاري أو بترحيلها عن بلادنا

قل له ان البلاد في احتياج الى جيش منظم كجيوش دول أوروبا يقوده رجال مخلصون للدولة شجعان من ذوي البسالة يصدون كل غارة عنها

قل له ان البلاد تحتاج الى عمارة بحرية كبيرة وليست كعمارتنا الضعيفة كي تستطيع أن تقف في وجه عمارات الدول الاخرى وتهزأ بتهديدها ووعيدها ثم تدافع عن عموم الأراضي الاسلامية

لقنه ارادتي وأطلعه على افكارى إذ لربما العمر قصير ليصير فيما بعد سلطانا على آل عثمان

هذه هي ارادتي فاقسم لي بانك تعمل ما أخبرتك به

قلت — أقسم لك يامولاى بذلك

وحينئذ قرع جلالته جرسا فدخل ألماز اغا فامره

جلالته بان يأتي بولده عبد المجيد

فلبى الامر وخرج وما غاب غير طرفة عين حتى رجع يصحبه ولى العهد عبد المجيد فقبل الصبي يد جلالته

وكان عمره ست سنوات فاخذ جلالته يد ولى عهده وسلمني اياه يدا بيد وقال

اسلمك ولى عهد السلطنة فكن معلمه ومربيه بل ابا وحارسا ونصيرا له عند الشدة

ثم التفت الى ولده وقال له بحنو والدي

لقد سلمتك وعهدت بتربيتك الى اعظم المقربين والمخلصين لى لانك ستصير بعد وفاتي سلطانا تحكم اراض واسعة ولكن بالعدل لا بالظلم . بالرأفة والرحمة لا بالشدة والقسوة

انه عبوء ثقيل ياولدى فلكن العناية معك ولتحرسك بعينها الساهرة

افهم ماأقوله وما يقوله لك فاثق بك وان تكن صغيرا ياولدي وكن سامعاً ومطيعا وملبيا ما يأمرك به وقابلا لنصائحه

واذا اطال الله في عمركما وتبوأت الملك واشار عليك فائق بك فاسمع مشورته واعمل بها لانه من المخلصين للمملكة وملوكها ومحب لرفع شأنها

واذا وشي به اليك الواشون كي تهلكه فلا تصدقهم لانهم يكرهونه لانه يكرهون دولتنا ومنفعتها

فاتخذه ياولدي ابا لك من بعدي وسر كما يشير عليك واطعه كما لو كنت تطيعني

ومن الان نصاعدا عليك بان تخرج من الحرم وتبقى معه حتى غروب الشمس فتعود اليه للمبيت

فهل فهمت ما اقوله لك ياولدي فاجاب الصبي وهو يبتسم

نعم ياوالدي وسأعمل كارادتك وارادة معلمي فقال جلالته اجلس ياولدي بجانب مربيك

فجلس ولى العهد فاخرج جلالته من علبة صغيرة نيشان الافتخار وزين به صدري ثم قلدني رتبه الوزاره وقال لي

سر بولدي بحراسة المولى واعمل حسبما اقسمت

فخرجت بولى عهد السلطنة من الغرفة وسرت به الى غرفتى الخصوصيه بالديوان وأجلسته بجانبي واخذت أعلمه القراءة حتي الظهر فدخل علي شريف أغا وهنأني برتبة الوزارة وبنيشان الافتخار وقال

لقد وهبك جلالة السلطان سراي المنار بما فيها من المفروشات الماخره لتقيم فيها من الآن نصاعدا

وخرجنا من الديوان الى غرفتى وتناولنا طعام الغذاء وأمر شريف أغا فرحات أغا بأن يعد فراشا آخر بغرفتي لولى العهد

ونام ولى العهد على فراشه وأماأنافاشغلتني الافكار عن النوم اذ خطر على بالى والدي وفاطمة

وكنت لا ازال أعلل نفسي برؤياهم متمسكابقول الهاتف ولكني عولت على ان احرر لهم لاعلمهم بوجودي بمعية جلالة السلطان ومنزلتي لديه وأسألهم عن احوالهم ومقرارى

وما زلت مستسلما للافكار حتى انتبهت لقرع على باب غرفتى ففتحته فدخل على شريف اغا وجاس

على مقعد وقال وهو ينظر الى

اني اراك مرتبكا

قلت — كلا ولكني افكر فى مستقبل ولى عهدنا المحبوب

قال — صدقت ولكني لا اظن انه يخرج محنكا في السياسة كوالده جلالة سلطاننا

قلت — كيف ياسيدى

قال — انى اراك لاتميل الى السياسه ولا تحب الخوض في عبابها كبقيه الوزراء ورجال الدوله

فلا شك انك لاتلقن ولى عهدنا المحبوب ماتكرهه نفسك فيخرج لا يعرف من السياسة غير اسمها

قلت — نعم لم أتداخل بالسياسة مع رجال الدوله ووزرائها ولكن لا لاني لا أميل اليها أو أكرهها بل لانها توقع الشقاق والعداوة بيننا اذ أن كل وزير أو نائب او مستشار يرمي بسياسته الى غرض يقصد به صالحه لا صالح جلالة السلطان والوطن

فلذا وقفت على الحياد وقفة المتفرج «أشتري ولا

أبيع » انظر الى اولئك الوزراء الخائنين الذين طالما استشاروني فى امور تضر بالوطن

ولكن لا تظن انى اذا وقفت على الحياد فى السياسة ولم أتداخل مع الخائنين الذين لا يقصدون الا منفعتهم الشخصية افعل ذلك مع ولي عهدنا من ستسلم اليه رقاب العباد . . . كلا ثم كلا فسوف اخرجه سياسيا ماهرا يتلاعب بدفة السياسة كيف شاء

قال ـ اذاً انت عالم بخيانة الوزراء ورجال الدولة

قلت ـ البعض منهم خائنون

قال ـ لقد أخطأت لانك لم تطلع جلالة السلطان على اعمالهم

قلت ـ او يحتاج جلالته الى ذلك ـ كلا فانه اكثر نباهة من ان اخبره بما يحصل

قال ـ اذاً فهو يعلم بخيانتهم

قلت ـ لاشك

قال ـ هل اخبرك بذلك

قلت ـ كلا فقد قرأت افكاره دون ان يطلعني عليها

قال ـ لقد قال لي جلالته مرارا انك عالم بما يدور في خلده من سرور وكدر

وقال لي أيضا انه واثق بك ومسرور منك لانك لاتبوح بما في فكرك له او لغيره من الوزراء وتتحاشي عن مقابلتهم

وقد شهد لك جلالته فى السياسة خلافا لما كنت أظنه فيك من عدم مقدرتك على التداخل فيها

قال لي جلالته عنك يوما ما بعد حديث دار بيننا

انه طويل الباع في السياسة وامينا ومخلصا للمملكة وقد عرفت ذلك من الشرح الكافي الذي كان يكتبه على الاوراق الرسمية وانا الآن اوقع عليها دون ان اطلع عليها لانه الرجل الوحيد الذي أثق فيه الاخلاص لي وللوطن

وبينما انا وشريف اغا في الكلام تحرك ولي العهد فقال شريف اغا

هلما بنا الى سراى الفنار لنتفرجا عليها

فركبنا عربة خصوصية يحرسها أربعة ياوريه وسارت بنا حتي وقفت على باب قصر فخيم مبني على النسق الحديث يطل على البسفور تحتاط به حديقة كبيرة جميلة تتخلل أشجارها الباسقة ورود الحديقة المنعشة للافئدة

فقال شريف أغا يخاطبني

هذه هي سراي الفنار التى عينت لسكناك

فدخلناها واذا بحيطانها مزينة بأبدع النقوشات وغرفها بافخر المفروشات

فدخلنا غرفة الاستقبال ودخل علينا الخدم فالقوا التحية وخرجوا فقال شريف أغا

لقد وهبك جلالة السلطان غلاما (طواشي) يبلغ العاشرة من العمر اتربيه فيكون خادما أمينا لك

قلت — وأين هو

وأمر شريف أغا أحد الخدم أن يأتي بفيروز اغا فلبي الامر وأتى بغلام ضحوك يلوح في وجهه الذكاء فأمره شريف اغا بان يقبل يدي

فتقدم الغلام وهو ينظر الي بعينيه الواسعتين وقبل يدي وخرج

وبعد ان قضينا عشر دقائق في السراي خرجنا وركبنا العربة قاصدين المابين وصحبتنا عبد المجيد افندي وافترق منا شريف اغا عند باب الغرفة

وبقيت في المابين أعلم ولي العهد حتى المساء فاتى شريف اغا وسار به الى الحرم

وبقيت في انتظاره حتى رجع فسرنا الى السراي وبعد الطعام فارقني

ولما خلا بي المكان ووجدت نفسي بالغرفة بمفردي قمت الى النافذة المطلة على البسفور فوقع نظرى على ما يدهش الابصار فالسفن الحربية تضيئها الانوار الكهربائية راسية بجانب الطوابى وكان بين الطابية والاخرى العمارات الفخيمة الشائقة تحتاط بها الحدائق البديعة

ثم المياه الجارية بسرعة عظيمة تنعكس عليها أشعة أنوار البوارج الحربية والحصون فتشابه كواكب السماء

وبعد ان متعت نظري بتلك المناظر المدهشة جلست على مقعد وحررت لوالدى خطابا وارسلته مع احد الخدم الى البوسطة

مضي شهر ولم يأتني الرد فحررت له الثاني والثالث وبقيت ثلاث سنوات وانا اكاتبه دون جدوي

فظننت لربما يكون متكدرا مني لاني فررت من دمشق وعملت ضد ارادته برفضي الزواج بابنة احمد اغا

ولكني عولت على ان في تمام العشر سنوات آخذ تصريحا من جلالة السلطان وأقصد دمشق فأرى والدي وفاطمه

ولكن خطر لي فكر وهو كيف يصرح لي جلالته بالتوجه الى دمشق وقد عهد الي تربية وتهذيب ولده عبد المجيد والى من يعهد بتربيته اذا تركت الاستانة

ولما وجدت ان مسألة ذهابي الى دمشق صعبة

عسرة تركتها الى الظروف في المستقبل

ففي مساء يوم كنت في غرفتي بمفردي فساورتني الافكار فذكرتني بمن لم يمحها عن ذاكرتي ماكر من الاعوام وهي فاطمة

تصورت أني في قصر والدي بين خدمى والمنتمين الي وبجانبي فاطمة ولكنها قاطبة الوجه حزينة فسألتها مالذى كدرك ايتها الحبيبة

قالت ـ كدرنى نقض عهدك

قلت ـ لقد قدرلي أن افترق عنك ايتها العزيزة

قالت ـ ولكنك عاهدتني انلانفترق

قلت ـ لقد وعدتك . . .

وتصورت والدى دخل علينا فجأة فقطع حديثنا وقال ناظرا الي بعين ملؤها الكدر

ماذا تفعل هنا وماذا تريد ماعدت لاتعرف بك ولا اعدك ولدا لي

قلت ـ ولماذا ياوالدي لماذا تقسو علي

قال ـ لقد خالفت ارادتى فما عدت لاقبلك بمنزلي

وأنت يافاطمة ما ذا تفعلين هنا ولماذا تجالسين

هذا الشقي .... قومي يابنيتي وادخلي الحرم

فتمنعت ولم يطاوعها قلبها ولكنه امسكها من

ذراعها وجذبها بلطف وسار بها الى الحرم

ثم عاد الي يحمل عصا وهجم علي فقفزت للهروب

فلامست يدي آنية جميلة كانت على طرف منضدة

فسقطت وانكسرت فمدت الى وعيي واذا بها تصورات

فقلت

لن تفارقني هذه التصورات حتى احمل الى قبري

... اين الهاتف ... اين من وعدني بلقيا والدي

وابنة خالتي

وضاق صدري فشعرت بالنعاس فاستسلمت له

وما كدت اغفو حتى رأيت قد فتح الباب ودخل

الهاتف مبتسما وقال

لبيك يافائق فلماذا دعوتني

ثم جلس بجانبي وقال

لماذا اراك حزينا

قلت ـ لقد اخبرتني اني سأرى والدي وابنة خالتي

قال ـ هل وعدتك بذلك

قلت ـ ألم تقل لي بانه سيكون لي ابنا من فاطمة

قال ـ نعم لقد قلت لك ولكن لا تسأل كيف يكون ذلك اراك قلقا لانه لم تصلك اخبار من والديك ولكن في ذلك سر ستكشفه لك الايام

فاصرف الهم والغم وابدلهما بالهناء وتجرع كأس الصفاء لان ما كتبته يد العناية لابد ان يكون

والآن فالى الملتقى ياولدي

قال ذلك مبتسما وهرول جهة الباب واختفي

فاستيقظت مذعوراً ونظرت الى ما حولي فاذا القنديل لا يزال مضيئا والباب مغلق

ووجدت نفسي ظمآنا لكثرة ما ساورني من الهواجس وتراكم الافكار علي فقرعت الباب وطلبت من فرحات اغا ماء

فأتاني بالماء فشربت حتى اكتفيت ثم استلقيت على فراشي ونمت الى الصباح

فاستيقظت مبكرا فاتاني فرحات اغا وقال لي بعد الافطار هل تريد ان اجهز لك قاربا للذهاب بواسطته الى المابين

قلت ـ وهل يمكنني الذهاب الى الديوان بقارب

قال ـ نعم اذا اردت فعلى الشاطىء قاربان معدان لك

قلت ـ هيا اذاً يافرحات

ونزلت فركبت وفرحات اغا قاربا من القوارب السلطانية واخذ ستة من الملاحين يقذفون بمهارة وسرعة عجيبين فسار القارب يخترق المياه بسرعة غريبة حتى وقف على الشاطيء بجانب سور سراي جلالة السلطان

وتطلعت وأنا صاعد على الدرج الى باب سور السراي فرأيت عدة بنائين يشيدون قلعة عظيمة

فاندهشت ولم اعلم السبب فلحظ اندهاشي فرحات اغا فقال

هذه احدى الطوابى التى امر جلالة السلطان بتشييدها حول سرايه

ودخلنا السراى وقصدت غرفة مكتبي وبعد

برهة دخل الباز اغا ماسكا بيد ولي العهد واخذت ألقنه العلوم حتى الظهر

وفي عصارى ذلك اليوم طلب مني ولي العهد ان اذهب به الى سراي الفنار للفرجة

فأجبت طلبه ونزلنا بالقارب وما كاد يسير قليلا حتى لمح ولي العهد الطابية التي يشيدونها

فسألني عنها فاخبرته انها طابية تشيد بامر والده فقال هيا لنتفرج عليها

فامرنا البحرية بالوقوف قريبا من الطابية ثم صعدنا الى البر وكان الناظر على البنائين احد الضباط المهندسين برتبة فريق

فلما بلغه من الفعلة قدومنا امر باصطفاف البنائين والشغالين

ولما دخلنا حيونا ومشي الضابط امامنا بمن معه من الجند للمحافظة الى داخل الطابية

وكان الفعلة لما مررنا مصطفين على الجانبين وبأرجلهم قيود الحديد فاستغربت وسالت الضابط

عن سبب تكبيلهم فاجاب

انهم من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة

فرثيت لهم وبينما أنا أنظر اليهم وقع نظرى على رجل بين أولئك المساكين فاصفر وجهي اذ كان ذلك الرجل صديقى احمد الذى فررت معه من دمشق

ولما رآنى كما انظر اليه احمر وجهه خجلا ورمى بنظره الى الارض فلحظت ذلك فتكدرت

فتقدمت لى الضابط وسألته من هو ذاك المسجون خوفا لئلا يكون شبيها لاحمد فاجاب

ارجوك أن تصبر قليلا

ثم دعا اليه السجان وسأله عن الرجل

أجاب ـ هذا احمد الشامى

قال ـ لماذا ومتى سجن وبكم حكم عليه

اجاب ـ لانه أكبر الاشقياء وقد سجن منذ عشر سنوات وقد دبر للفرار من السجن ولكنه لم يتمكن اذ قبض عليه وهو على وشك ان يفر وحكم عليه بالاشغال الشاقة

قلت ـ ولماذا حكم عليه بالاشغال الشاقة ألأنه
أراد الهروب من السجن فقط

فاجابني السجان

كلا ياسيدي دعني أحدثكما بما فعل تماما فمنذ
عشر سنوات كان محكوما عليه بالسجن خمس سنوات
وما كاد يدخلونه السجن حتى تآمر واتفق مع
المسجونين بالفرار جميعا من السجن

فاعترضه أحد المسجونين قائلا

انا نخاف لئلا يرانا الحرس فيحكم علينا ، وبدأ

فاجابهم ذلك الشقي

اننا نقتل كل من يعترضنا لانه يستحيل علينا
الفرار دون أن نقاوم من يقف في سبيلنا

وكان احد المسجونين على خلاف معهم فاضمر
لهم الشر ووشى بهم الى ضابط الحرس

فسأل الضابط الواشي قائلا

كيف يفرون من السجن والابواب مقفوله

اجاب ـ عزموا على نقب الجدران

قال الضابط - سأراقبهم فاذا كان ماقلته حقا فأني التمس العفو عنك مكافأة لك

وأخذ احمد الشامي والمسجونون فى التدبير للفرار وعينوا يوما لذلك

فلما كان اليوم المعين لفرارهم ذهب المسجون الذي وشي بهم واخبر الضابط انهم سيفرون في ذلك اليوم وقد نقبوا النقب

فاخذ الضابط الاحتياطات اللازمة وعند الساعة الثالثة عربية بعد الغروب احاط السجن بقوة من البوليس وقصد هو الجهة التي عزموا على الهروب منها وتربص للاشقياء بخمسين غير الذين احتاطوا بالسجن

وبعد ساعة أو اكثر سمع حبطا قويا بواسطة آلة فتطلع فرأي الاشقياء يوسعون ثقبا صغيرا

وبعد نصف الليل نظر الرجال رأسا ظهر من الثقب ثم قفز رجل الى الخارج فنبهوا الضابط

فكان الذي خرج هو الشقى احمد الشامي فلما صار خارج السجن قالا الى المسجونين اخرجوا واحدا

واحداً فالحراس نيام

وما كاد الشقي يتم كلامه حتى هجم عليه الضابط والرجال فأخرج الشقي مسدساً كان بجيبه واطلقه على الضابط فخر صريعاً يختبط بدمه ثم اراد الفرار فلم يمكنه رجال البوليس وحصل بينهم عراك شديد هائل آل الى القبض على الشقي ومن تمكن من رفاقه من الخروج من السجن

فاعادوهم الى السجن وعند استنطاق المسجونين أقروا بان احمد الشامي هو الذي اغراهم على الفرار

فسئلوا كيف تحصلوا على آلات النقب

أجابوا — أتاهم بها الباش سجان مقابل الفي قرش رشاه بها محمد بك جركس احد المسجونين

واقر ايضا محمد بك جركس انه رشي الباش سجان فأتي بأحمد الشامي وسئل اذا كان ماحصل باغرائه فأقر

الشقي فحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة

فقيد بقيد ثقيل وأرسله الى سجن القلعة وما مضي عليه فى السجن يومان حتى استغاث المسجونون من

شره وطلبوا ابعاده عنهم

فصدر امر بوضعه بمفرده في غرفة مخصوصة وعين لتعذيبه اثنان من الرجال الاشداء

وكان قصد الحكومة بتعذيبه ن تلين طباعه ولكنه كان كلما زداد تعذيبا ازداد توحشاولا يزال حتى الآن يعامل معاملة الحيوانات الكاسرة ومع ذلك فيزداد سمنا

قلت ـ وماذنبه حتى سجن

أجاب ـ لا اعرف السبب

قلت ـ اذهب وأت به

فدهب السجان واتي بأحمد فلما وقف امامي وهو مكبل بالحديد ووقعت العين على العين اصفر وجهه وقلت في نفسي

هو احمد بعينه

ثم التفت اليه وقلت مظهرا عدم معرفتي به

من انت

احاب ـ اعلم ياسيدي انني احد اولاد الاغوات بدمشق فتوفي والدي وتركا لي ميراثاعشرين كيسا من

الذهب « مائتي جنيه »
وكان لي اخ يدعى فائق فقابلني يوما ما بدمشق
والكدر يلوح في وجهه فسألته عن سبب كدره
فاخبرني بما كدرني انا ايضا وقال لي انه عازم
على قتل نفسه بيده ولا يرجع عن ذلك الا اذا سافر
من دمشق الى احدى الولايات
فقلت له وماالذي يمنعك عن السفر
اجاب - احتياجي الى النقود
فاشفقت عليه واخبرته بما ورثته عن والدي
وعرضت عليه اني اسافر معه اذا اراد السفر واقدم له
مايحتاجه من النقود
فقبل وسافرنا ليلا الى بيروت ومنها الى الاستانة
وقصدنا خان الشوام ونزلنا به
وفي اليوم الثاني قصدت السوق لمشتري بعض
مايلزم للاكل ومددت يدي الى جيبي لادفع ثمن
ما اشتريته فلم اجد بها شيئاً اذ كانت الجيب مقطوعة
ومنشولة منها النقود

فتكدرت وحرت فى أمري وماذا أفعل أنا وأخي فائق والنقود قد سرقت ونحن غريبان بمدينة عظيمة كالاستانة

وخجلت أن أعود الى الخان بدون الطعام فسرت بين شوارع المدينة مذهولا فساقتني قدماى الي زقاق وكان يسير بالقرب مني رجل لابس ثيابا فاخرة في صدره ساعة بسلسله من الذهب وبخنصريه خاتمان بحجرين كريمين

وخطر لى أن أسلبه الساعة بسلسلتها والخاتمين فأكون قد اعتضت عما سلب مني

فهجمت عليه فاستغاث فخرج من باب أحد المنازل القريبة منا عدة رجال وهجموا ليخلصوا الرجل ويقبضون على

فمددت يدي وأخرجت مسدسا وأردت أن أرهبهم وأتخلص منهم بالفرار ولكنهم لم يمكنونى فقبض احدهم على يدي وأخذ المسدس قهرا وأدخلوني الى ذاك المنزل وذهب الرجل ليخبر الضابطه

وبقيت في المنزل أتلقى الضرب واللكم بصبر حتى أتي رجال البوليس وأنقذوني من بين أيدي الخدم وساروا بي الي الضابطه

ولما سألوني أقررت بافعلته ولكي لم أعلمهم عن أخي شيئا لئلا يتهموه باللصوصية أو بالاشتراك معى

وقد تكدرت لان اخي اصبح لا يملك درهما يقتات به . وبقيت في الضابطه حتي اليوم الثاني فحكم على بالسجن خمس سنوات

وما مضي علي فيه شهر حتى خطر على بالى اخي فأذرفت الدموع لفراقه وحزنت لوجوده بمفرده فعولت علي الفرار من السجن

ولما كان ليس بالسهل الفرار منه بمفردي صممت على ان أتفق مع المسجونين على الفرار

وكان بين المسجونين رجل غنى يدعي محمد بك جركس فأخذت أتودد اليه وأتزلف له حتى مال الى فأخبرته بما عزمت عليه فوافقني وأخذنا نبث ذلك بين المسجونين ونغريهم على الفرار فوافقونا

فطلبت من محمد بك جركس مبلغا من النقود لنرشي به الباش سجان فاعطاني ماطلبت فرشيته فأتانا بآلة نقبنا بها جدار السجن ثم خرجت انا اولا ولكني لم انتبه الى رجال البوليس الذين كانو متربصين لنا وامرت المسجونين بالخروج الواحد بعد الآخر

وبينما انا انظر الى الثقب واكلم المسجونين هجم علي محافظ السجن مع رجال البوليس

فأردت الهروب فاخرجت مسدسي وأطلقته كي ارهبهم فاصاب رصاصه المحافظ فسقط على الارض وهجم علي رجال البوليس وقبضوا علي وساقوني الى السجن وحكم على مؤبداً فتغيرت اخلاقي واطواري الحميدة وصرت اشابه الوحوش الضارية

قالت ـ ألم تستعلم عن اخيك طول هذه المدة

قال ـ مكثت خمس سنوات في سجني وانا غير قادر ان ابوح بكلمة عنه

وكان لي صديق في السجن وانتهت مدة سجنه فقبل أن يفارق السجن دخل علي بغرفتي ليودعني فرجوته

ان يقصد خان الشوام ويسأل صاحبه عن اخي وماذا

صار فيه

فوعدني بذلك وخرج ثم عاد الي بعد يومين وقال

لي انه قابل صاحب الخان وسأله عن اخي فائق فاجابه

الخاناتي ان اخي تضايق جدا لغيابي وفراقي له وخرج

من الخان ولم يرجع اليه

وقد قال صديقي ايضا

ان صاحب الخان بحث عن اخي كثيرا فلم يقع له

علي اثر ويظن انه ربما القي بنفسه في البسفور

ومنذ ذاك الحين وانا أندب اخي المسكين واتشاجر

مع الحرس والمسجونين عساي اقتل احدهم فيحكم على

بالقتل واتخلص من هذا العذاب وألاقي اخي في العالم

الاخير

فتأثرت وقلت

أالى هذا الحد تحب أخاك

أجاب ـ الله اعلم كم احبه

ثم دمعت عيناه وبكى

قلت ـ لماذا لا تحسن التصرف مع مأمور السجن والحرس فلربما طلبوا العفو عنك من جلالة السلطان

أجاب ـ ولماذا اعيش واخى مات فاني أريد أن التقي به في العالم الثانى

قلت ـ ومن قال لك ان اخاك مات فلربما يكون حيا يرزق

أجاب ـ كلا فانا أعرف أخي شهما شريفا لا يقبل الذل فلا بد انه فضل قتل نفسه عن أن يستعطى

انا سبب موته فيالشقائي

قلت ـ لا تقنط يا احمد من رحمة ربك فربما كان أخوك حيا وكتب لك بان تراه فاحسن سيرك وسلوكك مع المنوط بهم أمر حراستك فيطلبون العفو عنك

قال ـ سأفعل ذلك ياسيدى

ثم انحنى امامي وسار الى داخل الطابيه فأمرت السجان بان يعامله بالرفق فوعدني بذلك واخذت بيد ولى العهد ونزلنا في القارب قاصدين سراى الفنار

فسار يخترق المياه فجلست على مقعد فى مقدمة القارب مشتت الافكار ومتكدرا لماألم باحمد وما هو فيه من العذاب

فعزمت على خلاصه مما هو فيه ولو آل الامر الى هلاكي

ولما وصل بنا القارب الى قرب السراي نزلنا منه ودخلناها وكان شريف اغا في الحديقة فتقدم منا وسرنا واياه فيها الى مكان اعتدنا ان نجلس فيه

فجلسنا على مقعد واحد وشملنا السكوت

وكنت افكر فى مصاب احمد صديقي واكلم نفسي بصوت يكاد لا يسمع قائلا انه يحبنى انه يدعوني اخاه.. انا السبب في مصابه

نعم انه عرض علي الفرار ولكني انا الملوم لانى وافقته على ذلك ... مسكين ماأصعب واشد ما يقاسيه لاجلى ... فلافديه بالروح

ثم هطلت دموعي وبكيت شفقة على صديقي بكاء مرا وقلت

انى اتلذذ وهو يتعذب

انى تسم على فراشي الحريرى الناعم وهو يتقلب

عذابا على فراش صخرى

هل من المروءة ان اتركه . . . كلا ثم كلا لست

جبانا سوف انقذه

وايقظني مما كنت فيه صوت ولى العهد اذ قال

ما ذا تقول

قلت ـ وما دا قلت ياولدى

أجاب ـ سمعتك تقول عذابا ويدعوك اخاه وكلاما

كثيرا لم افهمه . ولماذا تبكى الست مسرورا من والدي

وقال شريف اغا وهو ينظر الى باندهاش

ما الذى كدرك ياعزيزى

قلت ـ اترانى متكدرا

قال ـ نعم

قلت ـ كلا ولما ذا أتكدر وانا في نعمة لا يحلم بها

أعظم المقربين لجلالة السلطان

قال ـ اذن لماذا تبكي ولماذا هذه الدموع التي

لاتزال تتناثر من عينيك

ولما وجدت ان لامناص من اخباره وانه يستحيل على انكار مابي من الحزن والكدر شرحت له من أنا وكيف هربت مع احمد وكيف قفزت من نافذة فى الخان وقبولى ببيع نفسى ووصاية الهاتف لى بانكاري اصلي ثم كيف رأيت احمد فى الطابية في حالة يبكي منها الحجر الجماد

فلما سمع بأني لم اكن مملوكا قبل دخولى بخدمة جلالة السلطان تعجب وقال

احذر من ان تخبر أحدا بسرك لئلا تلقى نفسك بيدك في الهلاك ثم يقبض على اسرتك ويعدمون

قلت ـ وكيف العمل واخي احمد يقاسى اشد العذاب

قال ـ اترك ذلك الي فسأبذل الجهد لاستصدر لك أمر بالعفو فشكرته بقلبي ولساني

وكان الليل قد اقبل ومد خيامه فأخذ شريف اغا بيد ولي العهد وخرج وركب عربة سارت بهما الى السراي السلطانية

وما كادا ان يختفيا عن نظري حتى خطر على بالى
ان شريف اغا سيفشي سري فندمت لتسرعي باخباره

وما زلت في هواجسى حتى الساعة الثالثة عربية
بعد الغروب فاتانى تابعي فرحات وقال

ألا تريد مناولة الطعام ياسيدى

قلت ـ نعم اذهب وجهزه

وبعد ان تناولت طعام العشاء قمت الى فراشي
ونمت نوما عميقا حتى ايقظني قرع فرحات اغاعلى باب
غرفتي وقال لي

لقد حضر احد أغوات سراي جلالة السلطان
ارسله شريف اغا يدعوك للذهاب اليه

فشعرت حينذاك بخوف شديد ظانا انه لربما
يكون شريف اغا وشي بي

وتذكرت نصيحة الهاتف اذ قال

احذر ان تخبر أحد بحقيقتك

وخرجت من السراي فوجدت الماز اغا ينتظرني فقال
اذ رآني شريف اغا ينتظر دولتكم في السراي السلطانية

فركبت انا والماز اغا العربة التي كان قدأتي بهافسارت بنا الى السراي، ، اد وصلت نزلنا منها وقصدنا الحديقة فوجدنا شريف اغا جالسا داخل « كشك » جميل في وسطها

وتقدمت وجلست بجانبه فنظر لى وقال بلطف وحنو ازالا مابي من لا كدار

أراك متغيراً متكدراً فما الخبر . الا زلت تفكر باخيك . . . لقد وعدتك بأنى سأجهدالنفس لخلاصه ألا تثق بي

قلت — كيف لا اثق ياسيدي و...

فقطع كلامي ضاحكا وقال

اذا لماذا اراك متكدرا اذ كنت تثق بي

قلت — ومن قال لك اني متكدر

قال ـ اري ذلك من اصفرار وجهك

قلت ـ لقد بت طول ليلي أفكر بأخي وبما يقاسيه من العذاب الاليم

قال ـ اني اعذرك وقد دققت البحث فوجدت أن

قلت ـ وكيف تأكدت صدق اقوالي

قال ـ سرت بولي المهدامس الى الحرم بالسراي السلطانيه ثم قصدت غرفتي واخذت افكر فيما كلمتني به وانا بين مكذب ومصدق

ولأتأكد صدق أقوالك ارسلت فاحضرت الضابط الملاحظ للعمل فى الطابيه وسألته عما دار بينك وبين اخيك احمد

فاجاب بما اكد لي صدق كلامك ثم ارسلت فاحضرت اخاك يصحبه مأمور سجن القلعه

فامرت المأمور ان يبقي خارج الغرفة وسألت اخاك عن اسمه واين ولد ولماذا اتي الاستانة وسجن فيها

فكان ما قاله لي مطابقا لما اخبرتني به فامرت حينذاك بدخول مامور السجن وطلبت منه فتح القيد من رجليه ومعاملته معاملة حسنة بغرفته الخصوصية حتي صدور الاوامر

ففتح المأمور القيد بمفتاح كان في جيبه ثم سار
بأخي الى السجن

وقد تأثرت جدا لما حصل لاخيك وانا كذلك
واذا باحد الاعوات يطلبني للمثول لدى جلالة السلطان

فقمت ودخلت على جلالته فوجدته يخاطب
ولده عبد المجيدولىعهدناالمحبوبوقد لمعت عيناه سرورا

وكان عبد المجيد افندي يلقي على مسامع جلالته
ما تعلمه فقال جلالته اذ دخلت عليه

قل لفائق باشا انى ساكافئه مكافأة عظيمةلاهتمامه
بولدى اهتماما فوق المنتظر

ووجدت انها احسن واسب فرصة لاطلع
جلالته على سركم وقلت في نفسي لربما يشفق عليك
ويعفو عن اخيك

وبعد أن فكرت قليلا قلت

هل تأذن لي يامولاى بان اطلع جلالتكم على سر
يتعلق بفائق باشا

قال - قل ياشريف

فاخبرت جلالته بما اخبرتني به وبملتمسك العفو
عن اخيك وبطلبك مساعدتي

فلما سمع جلالته قصتك وقصة اخيك احمد تأثر وقال
لقد كان ظني في محله ياشريف فطالما قلت لك
انه لايشابه المماليك ... فهو يفوقهم علما وادبا وكمالا
ومما اكد لى انه ليس مملوكا شهادة واصف باشا له بمهارته
في اللغات الاجنبيه وذكاءه النادر

واني اذكر انه قد زارني الهاتف قبل مشتراه
بليلة ووصف لى شكله وطلب مني ان اشتريه لانه
سيكون الركن الاعظم لدولتنا

واذكر ايضا ان الهاتف قال
وللغلام المدعو فائق علامة على كتفه فاكشف عنه فتجدها

ولقد ظهر الحق الآن وارتفعت عندي منزلته
فأمره بان يأتي الى لاراه واسأله عن اخيه والحقه
بالوظيفة التي يقتضيها له فائق باشا بعد الافراج عنه

وامرني بالانصراف فخرجت من لدنه وقصدت
ان آتي اليك ولكن الوقت كان ليلا فلم اتمكن

ونحن في الحديث دخل فرحات اغاوقال

مامور سجن القلعة بالحديقة وبصحبته مسجون

فأمر شريف اغابدخولهمافدخلافاخرج شريف

اغا من جيبه ورقة وسلمها الى المأمور فلما قرأها قال

امر جلالة السلطان على العين والرأس

ثم ترك المسجون وخرج

فالتفت شريف اغا الى احمد وقال مشيرا عني

هل تعرف يااحمد هذا الوزير

فنظر الي احمد فلم يعرفني لما طرقني من التغيير فقال

كلا لااعرفه ياسيدى

قال شريف اغا ـ الملك نسيت اخاك فائق

قال احمد ـ ومن ينسى اخاه ياسيدي

ثم التفت احمدالي وحملق بي وكأن غمامة كانت

على عينيه وانقشعت فعرفني فهجم علي وتعانقنا كاننا

حقيقة اخوين

ثم جلس بجانبي وتحادثنا حتى طلع النهار فاخذته

بعربة الى منزلي وابدلت ملابسه الرثة بملابس ثمينة

فاخرة وامرت فرحات اغا بان يضع له سريرا بجانب سريري ويقدم له مايلزمه

ثم تركته وقصدت المابين فوجدت عبدالمجيد افندي ولي العهد بانتظاري فاخذت تارة اعلمه وطورا أراجع الاوامر من جلالة السلطان

وبقيت كذلك حتى الظهر فخرجت لاتناول طعام الغذاء مع احمد وقضينا بقية ذلك اليوم في الحديث

وفي المساء بعد الطعام جلسنا بقرب نافورة وكان الماء القراح الزلالي يتصاعد من قبوبتها بعلو ثلاثة امتار ثم يتساقط على اطراف النافورة فيشابه البرد

وكان الطقس لطيفا والنسيم عليلا والسكون شامل الطبيعة وبقينا برهة صامتين لا يسمع غير صوت النسيم اذ يداعب اوراق الشجر

فقال احمد

هل علم والدك بوجودك هنا وفي هذا المنصب السامي

قلت ـ حررت له مرارا فلم يأتني منه ردا ولا اعلم السبب فلربما والدي غضبان لاني فررت من دمشق

قال ـ هل تريد ان اذهب الى دمشق واقابل اباك
واعلمه بوجودك في الاستانة وبما نلته من المنزلة السامية
لدي جلالة السلطان كي يرتاح باله ويسر فؤاده

قلت ـ هذا جل مناي ولكن اريدك ان تعتاض
بالراحة هنا عما نلته من العذاب فى السجن

قال ـ لا تفكر في ذلك فرني فاسافر غداً كي
أريح بالك

وألح علي فقبلت وقلبي لا يطاوعني على فراقه لانني
شعرت بحب اخوي نحوه وامرت فرحات اغا بأن
يقصد الميناء ويري أى سفينه تبحر الي بيروت الليلة ثم
يأتى ويخبرنى

فلبي الامر وخرج وبعد ساعة رجع وقال انه استبحر
في اليوم التالي سفينة الى بيروت رأسا

وبعد اعداد لوازم السفر قصدت في صباح اليوم
التالى المابين وقابلت الصدر الاعظم وأخذت من
وخامته كتابا الى والى ولاية سوريا توصية عن والدي
وعموم اسرتي

ثم رجعت الى منزلى فوجدت احمد على تمام الاستعداد فاعطيته ثلاثين كيسا من النقود مصاريفا لسفره واعطيت حسن سرا مثلها لئلا لا تكفى نقود احمد وأمرت الخادم ان لا يطلع أحمد عنها الا عند الاضطرار ثم ودعتهما عند ركوبهما البحر وطلبت لهما سفرا سعيدا

وفي أثناء غياب احمد عن الاستانة حدثت مذبحة الانكشاريه بايعاز وتدبير جلالة السلطان

وكانت الحرب بين العسكر الشاهانية والعساكر المصرية بقيادة البطل ابراهيم باشا وبين عصاة المورة

وتداخلت دول انكلترا وفرنسا وروسيا بتحرير ولاية اليونان اذ احرقت غدرا الدونانمة العثمانية

فارتبك جلالة السلطان نظرا لاتحاد دول أوروبا عليه ولعدم وجود رجال مخلصين اليه الا مايعدون على الاصابع.

وبينما انا فى احدى الليالى بمنزلى دخل علي الماز اغا وقال يدعوك جلالة السلطان للمثول بين يديه

تتمة الكلام في الجزء الرابع

تتشرف بتقديم مراسم التهاني الى اخواننا المسلمين بقدوم عيد الاضحى المبارك والمسيحيين باقبال العام الجديد احياهم الله الى اعياد عديده رافلين في حلل السعادة والهناء متمتعين بعيش رغد يكللهم الصفاء

طلب منا مشتركونا الكرام اصدار مجلتنا كل عشرة أيام بدلا من خمسة عشر يوما فاجابة لطلبهم سنبذل الجهد في اصدارها كل عشرة أيام ونعوض التأخير الذي حصل بسبب الخلاف بيننا وبين صاحب المطبعة

تكرم حضرة الفاضل احمد افندى كامل التاجر الشهير في الموسكي بان يكون وكيلا عاما لمجلتنا في مصر فله منا الشكر

حضرة احمد افندى كامل التاجر الشهير بالموسكي وكيل عام بمصر

الاستاذ روفائيل افندى سعاده وكيل عام بدمشق الشام وعموم ولاية سوريا

توفيق افندي اورملي وكيل عام بمديرية المنوفية وبندر طنطا

المتعهدون

الاسكندريه — احمد افندي عيسوي متعهد الجرائد داخل وكالة البرنسيس نعمة الله هانم امام كنيسة الانكليز بشارع البوسطه

القاهرة — مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

دمنهور — محمد ومحمود نوار افندى متعهدى الجرائد بمكتبتهم بشارع المحطه

في جميع الجهات — ديمتري افندي رزق لوريا الكتبي

بنها — المكتبه الادبيه

المجله تقبل اعلانات بالاتفاق مع صاحبها العنوان

جورجي سعاده صاحب مجله سلسلة الروايات العثمانية بطنطا